رَفعُ مَنَارِ الدِّينِ

وَهَدْمُ أُفْكَارِ دُعَاةِ التَّسَامُحِ مَعَ الْكَافِرِيْن

تأليف

فضيلة الشيخ أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى



المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي، له وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمّا بعد:

فيقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان:٢٠].

في هذه الآية يبين الله عز وجل أنه ابتلى بعض العباد ببعض، ابتلى المؤمنين

بالكافرين والمنافقين والمفسدين، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وقال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣].

وقال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤١].

في أدلةٍ كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تدل على وجوب الصبر على ما يحصل من فتنة أهل الباطل، سواءٌ كان ذلك الباطل كِتابيًّا، أو خِطابيًّا، أو قولًا، أو فعلًا.

ويعتبر ذلك منهم من البغي على دين الله، وعلى شرع الله الحق، والله عزوجل يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٦٠].

ويعتبر مَنْ نافَحَ عن دين الله، وعن كتابه، وسنة رسوله ﷺ، ودينه الحق، مناصرًا لله عز وجل، واللهُ قد وعد في كتابه بنصرِ من ينصره، فقال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٨].

وأخبر سبحانه وتعالى عن المنافقين أنهم يوالون الكفار وينصرونهم، فيخذلهم الله تعالى، فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١١-١٢].

فالله وعد بخذلانهم أنهم لا ينصرون، حتىٰ وإن حاولوا جادين في نصرة الكافرين؛ فإنهم لا ينصرون، وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢].

هذه كلمةٌ بين يديّ ردٌّ علىٰ كتابٍ احتوىٰ علىٰ شرٍ كثير، وعلىٰ تلبيسٍ وتغرير.

وهذا الكتاب صغير الحجم كبير الضرر عنوانه: "**التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام**".[1]

ولم يُذْكَر مؤلفُه، غير ما ذُكِر علىٰ الغلاف: (**دولة الإمارات العربية المتحدة، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف**).

فمصدره من الأوقاف.

ومن المعلوم أَنَّ دولة الإمارات دولةٌ إسلامية، ولكن هذه الشؤون الإسلامية والأوقاف سيطر عليها الصوفية، بما فيهم علي الجفري الصوفي، الذي من أقواله السيئة الرديئة: (**أنَّ الولي يتصرف في الكون**)!!!.

وأنه: (**بإمكانه الرزق والإحياء والإماتة**)!! كما ذكرناه موثقًا في رسالتنا

(١) والنسخة التي بين أيدينا والتي تم هذا الرد عليها هي الطبعة الأولىٰ (١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م).

"الأدلة الزكية في بيان أقوال الجفري الشركية"، وفي هذه الرسالة بينا بعض ضلالات هذا المذكور، من انحراف معتقده، وسوء نهجه ومسلكه، وبعده عن الصراط المستقيم، ودعوته إلى أبواب الجحيم؛ فإنه من الدعاة على أبواب جهنم، كما وصف رسول الله ﷺ: «**دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها**».

لأنه وأمثاله من الصوفية دعاة إلى الشركيات والبدع والخرافات، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٣٨-٣٩].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

والنبي ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

ومن آثار مجالسة المذكور وغيره من الضُّلَّال في تلك الدولة، وتأثيرهم على

الأوقاف وغيرها في الإمارات، نبغ وأُنشئ مثل هذا الكتاب الذي ينضح بكسرِ حاجزِ الولاء والبراء بين المسلمين والكافرين، بل ينضح بتقريب المسلمين إلىٰ الكفار، والدعوة إلىٰ حب ومودة الكافرين، وإلىٰ سبيل الردة، وهذا ما دل عليه مثل حديث رسول الله ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**».

فكان لِزامًا بيان هذا الخطر الداهم علىٰ المسلمين؛ حذرًا من قول ربي عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

وامتثالًا لقول النبي ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطيع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» أخرجه مسلم في "صحيحه" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لِزامًا أَنَّ مثل هذا الكتاب الصادر عن وزارةِ دولة وبما فيه من البلاء العريض أَن يوضح خطره، وتبين فتنته وضرره.

ونأسف علىٰ مجتمع مسلمٍ يتوغل في أوساطه مثل هذا الفكر المنفوث في هذا الكتاب ومثله، وتطبع منه الألوف، ويترجم إلىٰ ثمان لغات؛ لغرض توزيع ما فيه من الضلال المبين علىٰ عموم المسلمين من العرب والأعجمين.

والآن إِنْ شاء الله تعالىٰ إلىٰ التنبيهات علىٰ بعض موبقاته؛ عسىٰ أن تكون ردًّا عليه وعلىٰ أمثاله من بابه بما يسر الله سبحانه وتعالىٰ.

ورجاؤنا في الله عز جل أن يكبت كل من حاده، علىٰ ما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [المجادلة:٥].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

والله يقول: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

قولهم في مقدمة الكتاب المذكور (ص٧-٨):

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى -وهو أرحم الراحمين- قد جعل رحمة الإسلام شاملة لكل الناس على مدى العصور والأزمان، وجعل لمن استظل بها الطمأنينة والسكينة والأمان، وجعل الناس شعوبًا وقبائل؛ ليحصل التعارف والتعاون بين بني الإنسان، ولا يكون التعارف والتآلف إلا بحسن التعايش بين جميع الفِرق والأديان.. .

الــرد:

قولهم: (ولا يكون التعارف..) إلى آخره.

هذا الكلام مما في هذا الكتاب من الضلال من الدعوة إلى التعايش والتسامح والولاء للكافرين، وبيان بطلانه من عدِّة وجوه:

الوجه الأول:

أَنَّ الله عز وجل جعل الناس شعوبًا وقبائل، قال تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣].

وهذا أطلق التعارف على ما يقصد به غاية التخالف، وإنما المقصود منه التعارف الشرعي، ومنه أن يعرِف كلٌّ رحمه؛ فيصله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" قوله: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: يقال: فلان بن فلان من كذا وكذا، من قبيلة كذا وكذا.اهـ

وساق الحديث الثابت عند الترمذي وغيره عن أبي هريرة ﵁، أَنَّ النبي ﷺ قال: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإِنَّ صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**».

وصح في "مستدرك الحاكم" (٨٩/١) عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإِن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت، وإن كانت بعيدة**».

الوجه الثاني:

أَنَّ الله عز وجل لم يأذن بالتعارف على ما ذكر هؤلاء المحرّفون لمدلول كتابه عز وجل؛ أننا نتعارف مع الكفار ونتآخى ونتآلف معهم!!

بل أبان أَنَّ مناط الكرامة الإنسانية على تقوى الله عز وجل، وأن علة التعارف معرفة: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾.

فإِنَّ اللام في قوله ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، لام التعليل.

وقال ابن جرير ﵀ في تفسير الآية: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس؛ ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقُربة تقرّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم.اهـ

الوجه الثالث:

أَنَّ الدعوة إلى التآلف الذي هو اجتماع مع التئام، وأخوة كما في "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٠٣].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله،

متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وكانوا على شفا حُفْرة من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها: أنْ هَدَاهُم للإيمان.اهـ

قلتُ: فالدعوة إلى التآلف والتآخي بين جميع الفِرق والأديان بما فيها اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والشركية الوثنية، هذه دعوة كفرية.

وهذه فتوى سماحة العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله في ذلك من مقدمة رسالة "حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين" لفضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الرسالة مهمة في حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد أهل الإسلام، جمعها العلامة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري الباحث في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، جزاه الله خيرًا، وزاده علمًا وتوفيقًا؛ ردًّا على ما نشرته بعض الجرائد المصرية في جواز إحداث الكنائس في البلاد الإسلامية.

وقد قرأت هذه الرسالة من أولها إلى آخرها، فألفيتها رسالة قيمة، قد ذكر فيها مؤلفها ما ورد في بناء الكنائس، والبِيَع، وسائر المعابد الكفرية من الأحاديث النبوية، والآثار، وكلام أهل العلم في المذاهب الأربعة، وقد أجاد

وأفاد، وختمها برسالتين جليلتين عظيمتي الفائدة للإمام العلامة أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ولا ريب أن موضوع الرسالة مهم جدًّا، ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه اختلاط الكفار بالمسلمين، ونشاط النصارىٰ في بناء الكنائس في بعض البلاد الإسلامية، ولا سيما بعض دول الجزيرة العربية.

وقد أجمع العلماء رحمهم الله علىٰ تحريم بناء الكنائس في البلاد الإسلامية، وعلىٰ وجوب هدمها إذا أُحدثت، وعلىٰ أن بناءها في الجزيرة العربية كنجد، والحجاز، وبلدان الخليج، واليمن أشد إثمًا وأعظم جرمًا؛ لأن الرسول ﷺ أمر بإخراج اليهود والنصارىٰ والمشركين من جزيرة العرب، ونهىٰ أن يجتمع فيها دينان، وتبعه أصحابه في ذلك.

ولما استخلف عمر رضي الله عنه، أجلىٰ اليهود من خيبر؛ عملًا بهذه السنة؛ ولأن الجزيرة العربية هي مهد الإسلام، ومنطلق الدعاة إليه، ومحل قبلة المسلمين، فلا يجوز أن ينشأ فيها بيت لعبادة غير الله سبحانه، كما لا يجوز أن يقر فيها من يعبد غيره.

ولما حصل من التساهل في هذا الأمر العظيم رأيت أن نشر هذه الرسالة مفيد جدًّا إن شاء الله، بل من أهم المهمات؛ ولهذا أمرت بطبعها، ونشرها، وتوزيعها علىٰ حساب رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ نصحًا للأمة، وبراءة للذمة، ومساهمة في إنكار هذا المنكر العظيم، والدعوة إلىٰ إنكاره، والتحذير منه، وأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يطهر بلاد المسلمين عمومًا، والجزيرة العربية خصوصًا من جميع المعابد الشركية، وأن

يوفق ولاة أمر المسلمين إلىٰ إزالتها والقضاء عليها؛ طاعة لله سبحانه، وامتثالًا لأمر رسوله عليه الصلاة والسلام، وسيرًا علىٰ منهج سلف الأمة، وتحقيقًا لما دعا إليه علماء الإسلام من إزالة الكنائس والمعابد الشركية المحدثة في بلاد المسلمين، إنه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه: نبينا، وإمامنا، وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أملاه الفقير إلىٰ عفو ربه: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، حرر في ليلة الخميس ١٤٠٠/١٠/٢٥ هجرية.اهـ

الوجه الرابع:

تضمّن كلام هؤلاء المحرفين لمدلول كلام الله عز وجل أن الله جعل الناس: ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾؛ ليحصل التعاون بين بني الإنسان، وهذا اللفظ شامل لكل مسلمٍ وكافرٍ، وبرٍ وفاجرٍ علىٰ وجه الأرض، أَنَّ من سنن الله الكونية وشريعته الزكية أننا نتعاون معهم!!

وهذا افتراء علىٰ الله عز وجل، وقول عليه بغير علم، مقرونٌ بالشرك به في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

ويكفي في رد فريتهم هذه قول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ المائدة:٢].

ولا شكّ أَنَّ أهل الكفر والشرك قد احتووا علىٰ أنواع الآثام من الشرك وما

دونه، فلا يقيمون دين الله، ولا يمتثلون شرعه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٢٨].

وجميع الأدلة من الكتاب والسنة تدل على التعاون على البر والتقوى وطاعة الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة:٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقول النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنَ لِلْمؤمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ، أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٨١) ومسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ: «**من نفس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نفس الله عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالتعاون مع الكفَّار لا يجوز، وإنما يكون التعامل معهم حسب ما تقتضيه الحالة الضرورية كالبيع، والشراء، والمزارعة، ونحوها، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه

عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج منها، وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد لبيان هذه المسألة.

أما قولهم: **(التعاون)** على هذا الإطلاق، فهذا كلام باطلٌ ترده الأدلة المذكورة وغيرها.

ودعوة هؤلاء الكُتَّاب إلى التعاون، والتآلف مع جميع الأديان الكفرية معارضة لقول الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: من اتصف بأنه لا يواد من حادَّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه، وزين الإيمان في بصيرته، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، أي: قواهم.اهـ

وقال العلامة محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في "الأصول الثلاثة": الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.اهـ

ومن وقع في موادة الكافرين؛ فقد وقع في عظيمة من العظائم؛ فإنَّ هذه الآية تنفي عنه الإيمان كما دل عليه مفهوم قول الله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فوجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر بغض الكافرين؛ لأنهم شر

البرية، فقد أخرج البخاري في "صحيحه" برقم (٤٣٤) ومسلم في "صحيحه" برقم (٥٢٨) عن عائشة ﵄: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ. فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُولَئِكِ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**».

فكيف تحب وتدعو إلى تآلف ومحبة شرار الخلق عند الله!!!

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال:٥٥].

وهذه الآية مفسرة بما بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٥٦].

فالتآلف معهم معارضة لأدلة الكتاب والسنة، وكسر لما أوجبه الله عز وجل من الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، وتعدي لحدود الله، وتعرض لمقته عياذاً بالله من ذلك، فالله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق:١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

مفهوم هذه الآية أن من لم تتوفر فيه هذه الصفات بما فيها العزة على الكافرين، أن الله عز وجل يمقته ولا يحبه.

قولهم (ص٨): وهذا الذي أرساه صاحب الشريعة الغراء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في ملته الحنيفية السمحة وهو يتعامل ويتواصل مع أتباع الديانات الأخرى طبقاً لما تنزل عليه في آي القرآن.

الــرد:

هذا من الكذب على رسول الله ﷺ، وثبت بالتواتر عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، أَنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحد فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

فاتقِ الله أيها الكاتب، ولا تكذب على رسول الله ﷺ.

إِنَّ هذه طريقته وشرعته، وما تقدم من الأدلة ينسف ما تقول نسفًا، ويبين أَنَّ ما تقوله إنما هو خدمةٌ للشيطان، ودعوةٌ إلى العصيان، وافتراءٌ على سيد ولد عدنان ﷺ.

فالنبي ﷺ تعامل معهم بما أمره الله عز وجل، ففي "الصحيحين" من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وَيُقِيموا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

تعامل معهم بجهادهم ودعوتهم إلىٰ الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

ومن تعامله وتواصله مع المشركين مراسلته لهم دعوة إلىٰ الإسلام بكلامٍ في غاية العزة والقوة؛ ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟، فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل؛ فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبا لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول:

اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة.

فقال للترجمان قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها؛ وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله؛ لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه. وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت: أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بمَ يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه

إلىٰ هرقل فقرأه فإذا فيه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلىٰ هرقل عظيم الروم، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**».

وهؤلاء يلبسون علىٰ الناس أَنَّ النبي ﷺ تعامل معهم تعامل الأخ مع أخيه والمحب مع محبه!!

وهذا ليس بصحيح؛ ماذا يقولون في معركة بدر؟!، وماذا يقولون في معركة أحد؟!، وماذا يقولون في معركة حنين؟!

وغيرها من المعارك التي قادها رسول الله ﷺ، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان علىٰ المشركين.

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ، لأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وأخرج مسلم في "صحيحه" برقم (١٧٣١) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوىٰ الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك**

من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خصال -أو خِلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما علىٰ المهاجرين؛ فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري علىٰ المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين؛ فإن هم أبوا فسلهم الجزية؛ فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم علىٰ حكم الله فلا تنزلهم علىٰ حكم الله، ولكن أنزلهم علىٰ حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا».

وقال الله عز وجل: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

فهل هذا التعامل معهم يعتبر مودة؟!!!

بل هذا إذلال وإصغار للباطل وأهله، وهؤلاء الكتّاب يدعون إلىٰ التعامل معهم بسماحة ومودة!!!

وهذا تعرض لشدة بغض الله عز وجل، فقد روىٰ الإمام البخاري في

"صحيحه" عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، وطلب دم امرئٍ مسلم ليهريق دمه**» أخرجه البخاري برقم (٦٨٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ولو كان الأمر على ما يذكر المحرفون للأدلة؛ لما وصل إلينا الإسلام، ولضاع الإسلام من مهده، ولما تنكر له مشركوا قريش حيث قال له عتبة: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد، أسمع**»، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوَى منه -أو كما قال له- حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم. قال: «**فاستمع مني**» قال: أفعل. قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾**»، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك**»، والحديث له طرقٌ يحسن بها.

وهذا نظير قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

فهذه الدعوة التي تضمنها هذا الكتاب وأمثاله تعتبر والله من الظلم لدين اللهِ عز وجل، ولجهود نبيه ﷺ، وجهود أصحابه رضوان الله عليهم، وجهود أئمة الهدى الذين ضحوا بدمائهم وأعمارهم، وأموالهم، عِلمًا وعَملًا؛ حتى جاءنا صافيًا نقيًّا.

وهؤلاء الدعاة يفسدون ما أصلحه رسول الله ﷺ، وهو القائل: «**اللّٰهُمَّ إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت**» أخرجه الطبراني برقم (٢٤١) وابن حبان برقم (٦٤٧) وغيرهم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وممن ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥].

وهذا من الصد عن سبيل الله القويم وصراطه المستقيم، والله عز وجل قال في كتابه: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:٩٤].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤].

فهذا والله من الظلم للمسلمين في تلك البلاد وفي غيرها ممن يغتر بهذا الكتاب وأمثاله من الدعوة إلى الفجور، والزور، والتقول على الله وعلى رسوله، والافتراء على دينه، وعلى رسوله بما لم يأذن به الله .

والله قد قرن ذلك بالشرك به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

فالقول على اللهِ بغير علم كبيرة من كبائر الذنوب، انظر الكبيرة الرابعة عشر من كتاب «الكبائر» للذهبي رحمه الله، والكبيرة الثامنة والأربعين من كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للهيتمي رحمه الله.

قولهم (ص٨): فقد كانت بينه وبينهم لقاءات، ومعاهدات، وهدايا رفيعة، ومراسلات.

الـرد:

أقول: هذا الكاتب إما جاهل أو خائن؛ فإن المعاهدة المذكورة أصلها كانت بين النبي ﷺ وبين مشركي قريش يوم الحديبية، وكان سبب ذلك: أن قريشًا نقضوا العهد الذي وقع بالحديبية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فغزاهم.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة: أنه كان في الشرط: من أحب أن يدخل في عقد رسول اللهِ ﷺ وعهده فليدخل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل، فدخلت بنو بكر، أي: ابن عبد مناة بن كنانة في عهد قريش، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة على ماء لهم يقال له: الوتير. فأصاب منهم رجلًا يقال له: منبه. واستيقظت لهم خزاعة، فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم، ولم يتركوا القتال، وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلًا في خفية، فلما انقضت الحرب خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال:

يا رب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فانصر هداك الله نصرا أيدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

هــم بيتونــا بــالوتير هجــدا وقتلونـــا ركعـــا وســـجدا
وزعمــوا أن لــست أدعــو أحــدا وهـــم أذل وأقـــل عـــددا

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»، فكان ذلك ما هاج فتح مكة.

وقد روىٰ البزار من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بعض الأبيات المذكورة في هذه القصة، وهو إسناد حسن موصول. انتهىٰ من "فتح الباري" تحت شرح حديث رقم (٤٢٧٤).

وقال الإمام البخاري في "صحيحه": بَاب الْمُوَادَعَةِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ وَإِثْمِ مَنْ لَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الآيَةَ [الأنفال:٦١].

٣١٧٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ هُوَ ابْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ بُشَيْرِ ابْنِ يَسَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، قَالَ: انْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ إِلَىٰ خَيْبَرَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَىٰ مُحَيِّصَةُ إِلَىٰ عَبْدِاللهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَمَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُالرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**»، وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ، فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: «**تَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ أَوْ صَاحِبَكُمْ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ، وَلَمْ نَرَ؟! قَالَ: «**فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْخُذُ أَيمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحًا هذا الحديث: قوله: (باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره): أي: كالأسرىٰ، قوله ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾

جنحوا: طلبوا السلم، ﴿ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، أي: إن هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين، وتفسير جنحوا بـ(طلبوا) هو للمصنف، وقال غيره: معنى جنحوا: مالوا، وقال أبو عبيدة: السَّلم والسِّلم واحد وهو: الصلح. وقال أبو عمر: والسَّلم بالفتح: الصلح، والسِّلم بالكسر: الإسلام.

ومعنى الشرط في الآية: أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة، أما إذا كان الإسلام ظاهرًا على الكفر ولم تظهر المصلحة في المصالحة فلا ذكر فيه حديث سهل بن أبي حثمة في قصة عبد الله بن سهل وقتله بخيبر والغرض منه.

قوله: (انطلق إلى خيبر، وهي يومئذ صلح)، وفهم المهلب من قوله في آخره: (فعقله النبي ﷺ من عنده): أنه يوافق قوله في الترجمة والمصالحة مع المشركين بالمال، فقال :إنما وداه من عنده استئلافًا لليهود وطمعًا في دخولهم في الإسلام.

وهذا الذي قاله يرده ما في نفس الحديث من غير هذه الطريق، فكره النبي ﷺ أن يبطل دمه؛ فإنه مشعر بأن سبب إعطائه ديته من عنده كان تطييبا لقلوب أهله، ويحتمل أن يكون كل منهما سببا لذلك، وبهذا تتم الترجمة.

وأما أصل المسألة فاختلف فيه، فقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي عن موادعة إمام المسلمين أهل الحرب على مال يؤدونه إليهم؟ فقال: لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة، كشغل المسلمين عن حربهم، قال: ولا بأس أن يصالحهم على غير شيء يؤدونه إليهم كما وقع في الحديبية.

وقال الشافعي: إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونهم؛ لأن القتل للمسلمين شهادة، وأن الإسلام

أعز من أن يعطىٰ المشركون علىٰ أن يكفوا عنهم إلا في حالة مخافة اصطلام المسلمين؛ لكثرة العدو؛ لأن ذلك من معاني الضرورات، وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز.

وأما قول المصنف: (وإثم من لم يف بالعهد) فليس في حديث الباب ما يشعر به، وسيأتي البحث فيه في كتاب القسامة من كتاب الديات إن شاء الله تعالىٰ. انتهىٰ من "الفتح".

فإن النبي ﷺ قدم المدينة، والمدينة فيها يهود، والنبي ﷺ مأمور بالوفاء، وقد قام بذلك أعظم قيام.

فنعم بقوا علىٰ ما هم عليه حتىٰ مكن الله سبحانه وتعالىٰ منهم، ولما مكن الله عز وجل نبيه منهم، حكم سعد بن معاذ في بني قريظة، فقال رسول الله ﷺ -كما في حديث عائشة الطويل عند أحمد (٦/١٤١-١٤٢)، وابن حبان (٦٩٨٩)-: «**انزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ**»، فأتي به علىٰ حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك، وأهل النكاية، ومن قد علمت. قالت عائشة رضي الله عنها: ولا يرجع إليهم شيئًا ولا يلتفت إليهم حتىٰ إذا دنا من دورهم التفت إلىٰ قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قال: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول اللهِ ﷺ: «**قوموا إلىٰ سيدكم فأنزلوه**»، قال عمر: سيدنا الله. قال: «**أنزلوه**»، فأنزلوه، قال رسول اللهِ ﷺ: «**احكم فيهم**»، فقال سعد: فإني أحكم فيهم: أن تقتل مقاتلتهم، وتسبىٰ ذراريهم، وتقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم اللهِ، وحكم رسوله**».

ونُفِذَ فيهم هذا الحكم، فكان من أنبت قُتِل ومن لم ينبت من الصغار يبقىٰ ولا يُقتل.

أهذا الآن يعتبر من التسامح معهم؟!!

عاهدهم النبي ﷺ ووفى، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤].

فأتم لهم عهدهم حتى نقضوا العهد والصلح، وثاروا مع المشركين يوم الأحزاب، فمكنه الله سبحانه وتعالى منهم، وأجلاهم من المدينة، وقال: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**»، ولم يسمح لهم إلا بحمل ما تحمل رواحلهم، هذا كله ثابت في "الصحاح" و"السنن".

قولهم (ص٨): وما أحوج الناس اليوم أن يعرفوا هذا النهج النبوي، ويعرفوا من خلاله الصورة المشرقة لدين الإسلام، وكيفية تعامل المسلم الحق مع غيره من أتباع الديانات الأخرى.

الـــرد:

هذا التعامل الذي يدعو إليه هؤلاء الكتّاب بعيد عن الإسلام الحق كل البعد، يدعو إلى التعامل مع الكافرين، ويدعو إلى سبيل الردة، كما تقدم بيان ذلك.

وفي "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣).

قولهم (ص٩): ولما كانت دولة الإمارات العربية المتحدة برؤية القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، قد خطت هذا النهج: نهج التعارف والتآلف والتواصل والتسامح مع جميع الناس... .

الــرد:

لم تكن الإمارات في عهد الشيخ زايد بن سلطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الحال، ولم يخرج مثل هذا الكتاب منها في ذلك الزمن، وإنما خرج مثل هذا الكتاب بعد موته حين استولت هناك الصوفية الذين هم ما من هجومٍ فكري على الإسلام إلا وكانوا في جانب اليهود أو النصارىٰ؛ للوقيعة بالمسلمين!!، والتاريخ شاهد بذلك، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في رسالتنا "الحقائق الوفية ببيان بعض موبقات الصوفية".

قولهم (ص٩): ومع جميع دول العالم، وعلى كافة المستويات، وجعلته مبدأً ثابتًا تسير عليه، وهي لا تزال والحمد لله تتماسك به وتحافظ عليه.

الــرد:

دولة الإمارات نحن نوصيها وسائر المسلمين بتقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وإقامة التوحيد المتضمن للحب في الله والبغض فيه، والولاء للحق والبراء من الباطل وأهله.

فإن من مات موحدًا لِله سبحانه وتعالىٰ، بعيدًا عن ولاء الكافرين مات على خير، وقد تقدم من الأدلة كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

وفي "الصحيحين" أَنَّ النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأَنَّ محمدًا**

رسول اللهِ، وأنَّ عيسى عبده ورسوله، وأَنَّ الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

أي: إنَّ مصيره إلى الجنة إن مات على التوحيد، وإن كان عنده معاصي مات عليها دون الشرك بالله عز وجل، والنبي ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**».

وَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**»، متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكم من الأدلة من كتاب اللهِ، وسنة رسوله ﷺ تبين فضل التوحيد وخطر الشرك.

فأنا ناصحٌ لتلك الدولة -وفقها الله- وغيرها من بلاد الإسلام أن تعتني بكتب التوحيد عِلمًا، وعَملًا، ودعوةً.

بَدْأً بكتاب الله عز وجل، و"صحيح البخاري"، و"مسلم"، ثم الكتب المصنفة بخصوص التوحيد والعقيدة الصحيحة، ككتاب التوحيد للعلامة النجدي؛ فإنه كتاب نفيسٌ جدًّا، قراءته على الصوفية كضربهم بالمطارق؛ فإنهم لا يرغبون في تلك الأدلة؛ لأنها تهدم شركهم.

وهكذا شروحه، سواء شرح بعض أحفاد المؤلف، أو شرح العلامة

العثيمين، وهكذا كتاب "الواسطية" وشروحها، وكتاب "الطحاوية" وشروحها، وكتاب "تطهير الاعتقاد" للعلامة الصنعاني، وكتاب "الدر النضيد" للعلامة الشوكاني، وأمثال هذه الكتب من كتب السنة والعقيدة الصحيحة النافعة المفيدة؛ فإن هذه الكتب كتب الإسلام.

الواجب الحذر من هؤلاء الدعاة الغشاشين، ومن دعوتهم الباطلة التي تهدم ما جاءت به أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه، فالله أرسل رسله بالدعوة إلى توحيده ودينه الحق، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

فما من رسول أرسله الله ولا نبي إلا وهو يدعو إلى توحيد الله، وهكذا كل من سلك مسلكهم، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

والعبادة المقصود بها هنا التوحيد، وما يتضمنه التوحيد، وما ينبني على التوحيد، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة.

فالدعوة إلى التوحيد سبيل رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

قولهم (ص٩): فإن الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف قد جعلت في خطتها الإستراتيجية نشر فكر الاعتدال والوسطية.

الرد:

هذا الفكر ليس من الاعتدال، وليس من الوسطية في شيء، بل هذا حيفٌ وجور، وظلم للمسلمين بإبعادهم عن الاستقامة على هذا الدين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ [الحج:١١-١٣].

هذا ليس بعدل مع الله، ولا مع صالحي عباده، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، أي: يساوون به غيره، إما في الخوف، وإما في الطاعة، أو غير ذلك مما يجب أن يكون له وحده.

والعدل الذي أمر الله سبحانه به هو إقامة التوحيد لله عز وجل كما أمر الله وشرع، وأرسل رسله، وأنزل كتبه بذلك.

فقد صح عند أحمد في "المسند" من حديث الْحَارِثِ الأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَىٰ: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ. فَقَالَ يَحْيَىٰ: أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ. فَجَمَعَ النَّاسَ**

فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمرَكُمْ أَنْ تَعْمَلوا بِهِنَّ، أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ. فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟! وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. فَفَدَىٰ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ».

قولهم (ص٩): نشر فكر الاعتدال والوسطية.

الــرد:

دعوىٰ أَنَّ هذا الفكر الداعي إلىٰ الخدش في توحيد الله عز وجل ودينه؛ من الوسطية هذا من تقليب الحقائق!!!

الوسطية هي ما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

ويبيّن ذلك:

ما في "صحيح البخاري" برقم (٧٣٤٩)، قال: باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم.

وَسَاقَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ**»، ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾» قَالَ: «**عَدْلاً** خيارا ﴿ **لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾».

هذا هو الاعتدال والوسطية: ملازمة العدالة والخيرية، والبعد عَمَّا يخل بذلك.

وخير القائمين بذلك هم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فلنا بهم أسوة حسنة في الدعوة، والتعامل الشرعي، قال الله تعالىٰ : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۞ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة:٤-٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

فهذه هي الوسطية، وهذا هو الاعتدال: التمسك بالكتاب والسنة، وهذا هو الإصلاح للمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۞ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

أما هذه الدعوة التي ينادي بها هؤلاء العملاء فعين الانحراف عن طريقتهم وهديهم، وما أرسله بهم ربهم عز وجل.

فأذكر نفسي وإياهم بقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۞ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۞ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ۞ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۞ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٨-٧٤].

وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

فأظلم الظلم هو الشرك بالله عز وجل، والدعوة إليه، وإلى التسامح مع أهله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

قولهم (٩-١٠): وبث روح الألفة والتعارف بين الناس من منطلقات الثوابت الإسلامية الصافية، وتوجيهات القيادة الحكيمة البانية، وها هي اليوم تقدم هذا الإصدار تعبيراً عن هذه الفكرة وتبصيراً بحقائق الدين.

الرد:

إن كانت دولة الإمارات العربية وصل بها الحال أنها تتبنى هذا الفكر؛ فإن هذا الفكر سيجرها إلى مكان سحيق، نسال الله العافية.

قولهم (ص١١): فإن عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال، والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى.

الرد:

لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها، الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧].

فهذه أدلة للمتقدمين وللمتأخرين إلىٰ قيام الساعة.

وفي "الصحيحين" من حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**».

فهذا هو دين الله الحق، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:٢٨].

دين الله لا يتغير ولا يتبدل، فكتاب الله هو الكتاب، والسنة هي السنة، والقبلة هي القبلة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]، والدِّين هو الدِّين، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وإنما يتغير ويتبدل الناس، هؤلاء الذين يدعون إلىٰ التبديل عن شرع اللهِ، وعن دين اللهِ الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ.

وفي "صحيح البخاري" برقم (٦٥٨٤) في أحاديث الحوض عن سهل بن سعد، وأبي سعيد ا لخدري رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**ليردنَّ علي أقوام أعرفهم**

ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم» زاد في حديث أبي سعيد **«فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحقًا لمن غير بعدي»**.

وقد أثنى الله عز وجل على من لم يبدل، فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

ومن خصائص هذا الدِّين: أنه ناسخ لغيره من الأديان الماضيه، وليس بعده دين ينسخه، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٨-٤٩].

قولهم (ص١١-١٢): نظرًا لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يومًا بعد يوم... .

الرد:

مِن أشدّ ما فتن به الزنادقةُ جهالَ المسلمين هي ما يسمونه بالحضارة الغربية زعموا!!!!

حتىٰ قال الزنديق طه حسين: لابد أن نسير سيرة الأروبيين، ونسلك طريقتهم؛ لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.انتهىٰ كما في كتاب "تسامح الغرب مع المسلمين" تأليف عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين (ص٣٣٧) عزاه إلىٰ مصدر مستقبل الثقافة في مصر(٤١/١).

وهذه الحضارة المزيفة هي في الحقيقة حرب علىٰ الحضارة الإسلامية الأصيلة.

وما أحسن ما نقله العلامة محمد بن سالم البيحاني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "إصلاح المجتمع" عند شرح الحديث الرابع والثلاثين، قال:

مَدَنِيَّةٌ لكنها جوفاء ... وحضارة لكنها أفياء

مرجت عقول الناس حيث استحسنت ... من صنعها ما استهجن العقلاء

تدعو التهتك والسفور فضيلة ... ونتاج ذاك الشر والفحشاء

أوحت إلىٰ الجنس اللطيف بأنه ... هو والرجال لدىٰ الحقوق سواء

وبأن جبار السماء ورسله ... هضموا عليه حقوقه وأساءوا

قادت إلىٰ السوق الفتاة وسوقها	لم يخفهن عن العيون كساء
والنحر والعضدان والفخذان	كلّ أولاء بادٍ ما عليه غطاء
وبكفها المرآة تصلح شأنها	كيف اشتهت ومتىٰ وحيث تشاء
وسط الترامِ وفي الطريق تهتكًا	إن التهتك للفتاة شقاء

قولهم (ص١٢): وعلينا إبراز الوجه المُشرق للإسلام ... .

الـرد:

الوجه المشرق للإسلام أبانه الله في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس:٣٢].

وأما هذه الطريقة المخالفة لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فهي إبراز وجوهكم المظلمة للإسلام باسم الإسلام.

قولهم (ص١٢): من خلال التعامل معهم بتسامح، وإشعارهم بالأمن والأمان، والطمأنينة، والارتياح، وهم يعملون في بيئة عربية إسلامية، يفترض أن تمنحهم كل هذه المشاعر النفسية والإنسانية، وتعكس لهم الصورة الواقعية لحياة العرب والمسلمين الذين صاروا يعيشون فيها وينعمون بكل ما يحتاج إليه الإنسان من قوانين، وأعراف، وعادات إسلامية، تلفت انتباههم، ثم تجذبهم إلى مكارم الأخلاق، وتعوضهم عن مساوئ الغربة والمعاناة.

الرد:

هذه دعوة إلى محبة الكفار وإكرامهم، وشدة الحفاوة بهم، والله عز وجل أهان الكفار، وهؤلاء الجهال المخدوعين بالغرب والمشحونين بفكره، يلهجون بهذه اللهجات الخطيرة في الدعوة الجادة إلى محبتهم وإكرامهم، معرضين عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج:١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠].

فهذه دعوة إلى شدة الارتباط والثقة بهم، وهذا لا يجوز؛ لما في "الصحيحين" عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**».

والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم:٢٩-٣٠].

قولهم (ص١٣): إنهم يفاجؤون حينما يشاهدون دور العبادة لمختلف أبناء الديانات يتاح لهم جميعًا أن يمارسوا طقوسهم بكل حرية واحترام من المسلمين، ويدهشون عندما يرون ويسمعون في المدن العربية العريقة كيف تتعانق المآذن والصوامع، وتتجاور المساجد والكنائس.

الرد:

هذه الحالة السيئة التي يتطلع إليها هؤلاء الكتّاب الضلال، قد أبان فسادها ومخالفتها لدين الله عز وجل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الفذ في بابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" وغيره من أئمة الإسلام.

فقال شيخ الإسلام رحمه الله في (ص٦٤-٦٥): وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر

بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

- منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلىٰ موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة -مثلًا- يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

- ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف علىٰ أهل الهدىٰ والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام -الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا أو باطنًا بمجرد الاعتقادات، من حيث الجملة- كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارىٰ باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

- ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتىٰ يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلىٰ غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه

موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له.اهـ

وقال في مقدمة كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا، وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم غير المغضوب عليهم: اليهود، ولا الضالين: النصارىٰ.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالدين القيّم والملة الحنيفية، وجعله علىٰ شريعة من الأمر، أمر بإتباعها، وأمره بأن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم تسليمًا.

وبعد: فإني كنت قد نَهَيْتُ، إما مبتدئا أو مجيبًا، عن التشبه بالكفار في أعيادهم، وأخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم، والدلالة الشرعية، وبيَّنت بعض حكمة الشرع في مجانبة الكفار، من الكتابيين والأميين، وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم، وإن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، كثيرة الشُّعَب، واصطلاحا جامعًا من أصولها كثير الفروع، لكني نبهت علىٰ ذلك بما يسر الله تعالىٰ، وكتبت جوابًا في ذلك لم يحضرني الساعة، وحصل بسبب ذلك من الخير ما قدّره الله سبحانه، ثم بلغني بأخرة أن من الناس من استغرب ذلك واستبعده؛ لمخالفة عادة قد نشؤوا عليها، وتمسكوا في ذلك بعمومات وإطلاقات اعتمدوا عليها؛ فاقتضاني بعض الأصحاب أن أعلق في ذلك ما يكون فيه إشارة إلىٰ أصل هذه المسألة؛ لكثرة فائدتها وعموم المنفعة بها، ولما قد عمَّ كثيرًا من الناس من الابتلاء بذلك، حتىٰ

صاروا في نوع جاهلية، فكتبت ما حضرني الساعة، مع أنه لو استُوفي ما في ذلك من الدلائل، وكلام العلماء، واستُقريت الآثار في ذلك، لوُجد فيه أكثر مما كتبته، ولم أكن أظن أن من خاض في الفقه، ورأىٰ إيماءات الشرع ومقاصده، وعلل الفقهاء ومسائلهم، يشك في ذلك، بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه، وخلص إليه حقيقة الإسلام، وأنه دين الله الذي لا يَقْبَلُ من أحدٍ سواه -إذا نُبِّه علىٰ هذه النكتة- إلا كانت حياة قلبه، وصحة إيمانه، توجب استيقاظه بأسرع تنبيه، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب، وهوىٰ النفوس، اللَّذَيْن يصدان عن معرفة الحق واتباعه.اهـ

يا هؤلاء، كيف تدعون إلىٰ وجود الكنائس في جزيرة العرب وبين المسلمين.

وقد أجمع المسلمون قاطبة علىٰ أنه لا يجوز بناء الكنائس في جريرة العرب؛ عملًا بقول النبي ﷺ: «**قاتل الله اليهود و النصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يبقين دينان بأرض العرب**»، وقد ألف العلامة إسماعيل الأنصاري رحمه الله رسالة مهمة في هذا الموضوع قرضها الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله تعالى قدمنا النقل منها في أول هذه الرسالة (ص١١).

قولهم (ص١٤): مما يبرهن للعالم أَنَّ هذا التراث الحضاري في المنطقة بكل كنزوه ورموزه.

الـــرد:

هذه الدعوة إلىٰ افتتان المسلمين عن دينهم بمخالطة الكفار ومودتهم، وما شرعت الهجرة من بلاد الكفار إلىٰ بلاد المسلمين إلَّا لهذا المعنىٰ النبيل، وهو البعد عن الفتنة في الدين، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

قال ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٤٧٤/١): فَحَدّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ، قَالَ: اتّعَدْتُ لَمّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السّهْمِيّ التّنَاضِبَ مِنْ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَوْقَ سَرِفٍ، وَقُلْنَا: أَيّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ. قَالَ: فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التّنَاضُبِ، وَحُبِسَ عَنّا هِشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ.

قال ابن إسحاق كما في «السيرة» (٤٧٥/١): وَحَدّثَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: فَكُنّا نَقُولُ: مَا اللهُ بِقَابِلٍ مِمّنْ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلا، عَدْلًا، وَلاَ تَوْبَةً؛ قَوْمٌ عَرَفُوا اللهَ ثُمّ رَجَعُوا إلَى الْكُفْرِ لِبَلاءٍ أَصَابَهُمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لأَنْفُسِهِمْ.

فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ

لأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥]، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَكَتَبْتهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْت بِهَا إِلَىٰ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ: فَلَمّا أَتَتْنِي جَعَلْت أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًىٰ، أُصَعّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوّبُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتّىٰ قُلْت: اللّهُمّ فَهّمْنِيهَا. قَالَ فَأَلْقَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَلْبِي أَنّهَا إنّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا.

قَالَ: فَرَجَعْت إلَىٰ بَعِيرِي، فَجَلَسْت عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ. وهذا حديثٌ حسن.

قولهم (ص١٤): ما كان له أن يستمر ويتطور لولا أَنَّ المسلمين هم حقًّا أصحاب رسالة إنسانية سمحة غير جامدة ولا متسلطة، مستلهمين ذلك من كتاب الله ربهم جلا وعلا ومن سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام.

الــرد:

قائل هذه الأقوال الضالة لم يستلهم كتاب الله عز وجل، ولا سنة رسوله ﷺ، بل هذا إعراض عنهما؛ فإنّ الدعوة إلىٰ مثل هذه الحضارة والعولمة هي علىٰ حساب الدين، والله عزوجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

فكأنكم لا تبالون بالدعوة إلىٰ عمارة الدنيا وخراب الآخرة!! كأنكم لم تعلموا أو لم تعملوا بحديث أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ**

بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله، يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٧).

كأنكم لا تبالون بالخسارة الحقيقة التي أبانها الله عز وجل بقوله -وهذا الإنسان ومثله يدعون إلى خسارة في الدنيا والآخرة-: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر:١٤-١٥]، ومن وقع فيها فلا ماله يغني عنه، ولا أهله، ولا ولده، ولا جميع من في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل:١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة:٣٦].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة:٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].



وقال تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر:٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٦].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحىٰ:٤].

فحافظ علىٰ دينك الإسلام، تمسك به، قال الله عز وجل: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

حافظ علىٰ دينك الإسلام تفلح به، فقد ثبت في "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه**».

وهذه الدعوة في هذا الكتاب وأمثاله رضىٰ بغير الإسلام إما حالًا، أو مقالًا.

قولهم (ص١٥): وإننا بهذه المكرمات نبرهن للعالم أَنَّ المسلمين أمة سمحة حضارية راقية، ولها قيمها السامية.

الرد:

هذه الدعوة ليست مكرمات، بل هي سيئات ومهانات، و زيغ يجلب على الأمة من الله عز وجل أشد الضرر والنقمات.

وأمة محمد ﷺ المؤمنون حقًّا الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، والذين ساروا على طريقته، ليسوا على هذه الطريقة العوجاء، ولله الحمد.

وإنما الذي على ذلك أمة الكفر، ومن دعا إلى اللحوق بهم فقد دعا إلى التنكب عن الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قولهم (ص١٥): وأن التسامح أصل من أهم أصولها في التعامل مع الآخرين.

الرد:

هذا الكلام لا يعتمد على كتاب ولا على سنة، فأهم الأصول هو توحيد الله الذي أنزل به الكتب وأرسل به الرسل، ومن أهمه البعد عن التسامح مع الكافرين والتنازل عن أسس دين رب العالمين.

أمّا التسامح الشرعي الشامل للرفق مع من يستحقه، وحسن الخلق، وحسن العشرة، وحسن التعامل في البيع والشراء، والتواضع، والعفو، والصفح، والصدق، والأمانة، هذا من التسامح الشرعي المطلوب شرعا، وأدلة الأمر به من الكتاب

والسنة يطول حصرها.

من ذلك: ما في "صحيح البخاري" عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**».

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن هيّن ليّن**»، والحديث له شواهد.

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

قولهم (ص١٥): هذا وسوف يتناول بحث "التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام"، انطلاقًا من آيات القرآن، وسيرة النبي الكريم ﷺ، المحاور الآتية: الأول: مفهوم التسامح.

ثم ذكروا من تعريفات التسامح (ص١٩):

وقيل: أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم مع كونها باطلة في نظرنا، ولا نقول فيهم ما يؤلمهم؛ رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لصرفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقومون به من الأعمال.

الـرد:

هذا هو التسامح الذي قامت عليه هذه الرسالة وأمثالها، لخصها كاتبها في هذه الأسطر أَنَّ المعنىٰ المطلوب من التسامح في نظر هؤلاء الدعاة إلىٰ الغرب، أمور وهي:

أولا: أن نتحمل عقائد غيرنا ونرضىٰ بها، حتىٰ نكون كبني إسرائيل الذين قال الله فيهم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

فلا نأمر بأي معروف ولا ننكر أيَّ منكر، وهذا المبدأ لو قامت عليه دعوة المرسلين ما اختلفوا مع أي مشرك علىٰ وجه الأرض، من أجل دين الله جل وعلا.

فهذا المبدأ المذكور هنا هو في الحقيقة نسف لدعوة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، فالله لعن أصحاب السبت ومسخهم قردة خاسئين بأقل مما يدعو إليه هؤلاء المستغربون، قال تعالىٰ: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۞ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

ثانيا: ما عساه أن يبقىٰ من إيمان من طبق هذا التسامح علىٰ هذا التعريف.

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله برقم(٥٠-): حدثني عَمْرٌو النَّاقِدُ، وأبو بَكْرِ ابن النَّضْرِ، وَعَبْدُ بن حُمَيْدٍ، واللفظ لِعَبْدٍ، قالوا: حدثنا يَعْقُوبُ ابن إبراهيم بن سَعْدٍ، قال: حدثني أَبِي، عن صَالِحِ بن كَيْسَانَ، عن الْحَارِثِ، عن جَعْفَرِ بن عبد اللهِ بن الْحَكَمِ، عن عبد الرحمن بن الْمِسْوَرِ، عن أبي رَافِعٍ، عن عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**ما من نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كان له من**

أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ من بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مالا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مالا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بيده فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلك من الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

قال النووي رحمه الله في "شرح صحيح مسلم" (٢/٢٤): واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب؛ فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه أيضا لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه؛ فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًّا، فمن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا، وكانت الأنبياء

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته، والله أعلم.اهـ

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله في شرح حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**من رأى منكم منكرا...**» الحديث.

قال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. يشير إلى أَنَّ معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك.اهـ

وهذا مؤدى مطلب هؤلاء الكتّاب في الفقرات المذكورة: أَنَّ الكفار لا يصرفون عن عقائدهم، ولا يمنعون مما يقومون به من الأعمال التي نراها باطلة في نظرنا كالشرك، والإلحاد، والزنا، وشرب وبيع الخمر، والخنزير، وكل المحرمات التي نراها باطلة، وهم يعملونها في أوساطنا لا نمنعهم منها، مع القدرة على منعهم منها؛ تسامحًا معهم، ورعاية لعواطفهم وأحاسيسهم!!.

فاللَّهُمَّ رحماك بالأمة من هذا التسامح الجارف للإيمان، الموبق في كبائر الذنوب والعصيان.

ولم يقف هؤلاء الكتّاب عند هذا الحد المهلك؛ بل يطالبون أن لا نقول فيهم ما يؤلمهم؛ رعاية لعواطفهم وأحاسيسم!! ولسان حال هؤلاء الضلّال -الذين تربوا على أفكار الكفار- كما أمر الله به مع الوالدين بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

ﱡﭐﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊﱠ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وهذا القول يتضمن أن آيات القرآن في لعنهم وتكفيرهم وذمهم منسوخة، بهذا القرار الإلحادي.

قولهم (ص١٩): وقيل: التسامح: يعني التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف.

الــرد:

هذا التعريف: أَنَّ التسامح يختص بالتعاون مع الكفار باللين، كذبٌ اخترعه هؤلاء الضلال، من أن التسامح هو التعاون مع غير المسلم وفق الحكمة، والقرآن يرده، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۞ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢].

وقال النبي ﷺ: «**لا تبدؤا أهل الكتاب بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه**».

ولم تخص كتب اللغة التسامح بغير المسلمين، بل عرفته تعريفات عامة تشمل السهولة وغيرها كما في "القاموس" و"معجم مقاييس اللغة" لابن فارس

و"لسان العرب"، وهذه كتب اللغة المعتبرة، فليوجد لنا من هذه الكتب تخصيص التسامح أنه التعاون مع الكفار، وإنما لفلف له من كتب دعاة الغرب أمثاله، فالطيور على أشكالها تقع.

والقرآن والسنة زاخران بذكر الكفار بشتى أنواع ذمهم، وتوبيخهم، وما أعد من العذاب المهين للكافرين، وهؤلاء الكتاب يتحرجون من ذكر كلمة (الكفار)، ويلجؤون إلى كلمة غير المسلمين، فَمَنْ غير المسلم إلا الكافر، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ونحو هذا التعبير الباطل قول بعضهم (الإسلام والآخر)، ونحو هذه الرغبة عن خطاب كتاب الله عز وجل.

قولهم (ص٢١): وقد ورد فيه من الألفاظ ما يقاربها ويترجمها إلى واقع إسلامي مطلوب مثل الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]).

الــرد:

الآية فيها ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ، ودعوة هؤلاء الكتّاب إلى غير سبيله، فالقرآن والسنة في شِقّ وهم في آخر.

سبيل الله الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

سبيل الله كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ❁ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ

يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا * وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا * وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب:١-٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا * وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا * وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب:٤٨].

فسبيل الله في جانب ودعوة هؤلاء الضلال في جانب آخر، ويركبون الأدلة في غير موضعها، ويعبثون بالأدلة عبثا يندىٰ منه الجبين.

ومثلهم في ذلك كالذي أخذ قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:٤]، علىٰ أنَّ الذي يصلي متوعدٌ بالويل، وبنىٰ علىٰ ذلك بعض الشعر فقال:

دع المساجد للعبّاد تعمرها ... واعمد بنا حانة الخمّار يسقينا

ما قال ربك ويل للألىٰ سكروا ... وإنما قال: ويل للمصلينا

معناه: أَنَّ الذي يسكر ويعمل الفواحش ليس متوعدًا بالويل، ولكن الويل للذي يصلي!!!

فهؤلاء الكتّاب غشاشون، وملبسون، والتلبيس سنة يهودية.

ففي "الصحيحين" من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ الْيَهودَ جَاءُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟**» فَقَالُوا نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلامٍ: كَذَبْتُمْ؛ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ، فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ. فَرَفَعَ يَدَهُ، فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُاللهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.

هؤلاء الكتّاب يأتون بالأدلة التي في صالح الإسلام والمسلمين ويستدلون بها علىٰ الولاء للكافرين المضاد للإسلام.

ومنه: استدلالهم بقوله تعالى (ص٢١): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

الـرد:

العفو الذي أمر الله به من مكارم الأخلاق العظيمة.

لكن لا يجوز سحب هذه الأدلة الشرعية والاستدلال بها علىٰ تبرير منكر عظيم، وهو الولاء للكفار ومحبتهم، وسماحة النفوس عليهم.

ويعارض أدلة الولاء والبراء بمثل هذه الأدلة العامة في العفو عن المسيء

كقوله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٠٩].

هذا من الجهل والخيانة، وشأن أهل الزيغ تتبع الشبهات علىٰ ما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

وفي "الصحيحين" من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تَلا رَسولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ»**.

وقد كان لهؤلاء الكتّاب قسطٌ كبيرٌ من هذه الشبهات، فذكروا آيات وأحاديث في الرفق والإحسان، ودعوة أهل الكتاب إلىٰ توحيد الله، ودعوتهم إلىٰ الإسلام وغير ذلك، حرفوا مدلولها إلىٰ هذا المنكر العظيم من ولاء الكافرين ومودتهم، واحترامهم وإكرامهم، وتعظيم شأنهم، وألبسوه لباس التسامح الذي جاء به الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، عن ربهم عز وجل!!

وإليك بيان ذلك:

أولًا: قول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

والآية فيها الأمر بالدعوة إلىٰ سبيل الله، وهو توحيده ودينه؛ بدليل قول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ونظيرها استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله: قال قتادة وغير واحد من السلف: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام، أو الجزية، أو السيف. وقال آخرون: بل هي باقية لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن؛ ليكون أنجع، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، وهذا القول اختاره ابن جرير، وحكاه عن ابن زيد.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، أي: حادوا عن وجه الحق، وعَموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾». اهـ

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في "تفسيره": ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، أي: إلَّا بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عزّ وجلّ، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه؛ رجاء إجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بأن أفرطوا في المجادلة

ولم يتأدّبوا مع المسلمين، فلا بأس بالإغلاظ عليهم، والتخشين في مجادلتهم.

هكذا فسر الآية أكثر المفسرين بأن المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ. وقيل: معنىٰ الآية: لا تجادلوا من آمن بمحمد من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ يعني: بالموافقة فيما حدّثوكم به من أخبار أهل الكتاب، ويكون المراد بالذين ظلموا علىٰ هذا القول هم: الباقون علىٰ كفرهم.

وقيل: الآية منسوخة بآيات القتال، وبذلك قال قتادة، ومقاتل. قال النحاس: من قال: هذه منسوخة، احتج بأن الآية مكية، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية ولا غير ذلك.

قال سعيد بن جبير، ومجاهد: إن المراد بالذين ظلموا منهم: الذين نصبوا القتال للمسلمين فجدالهم بالسيف حتىٰ يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ من القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ من التوراة والإنجيل، أي: آمنا بأنهما منزلان من عند الله، وأنهما شريعة ثابتة إلىٰ قيام الشريعة الإسلامية والبعثة المحمدية، ولا يدخل في ذلك ما حرّفوه وبدّلوه ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له، ولا ضدّ، ولا ندّ ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، أي: ونحن معاشر أمة محمد مطيعون له خاصة، لم نقل: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، ولا اتخذنا أحبارنا ورهباننا أربابًا من دون الله. ويحتمل أن يراد: ونحن جميعًا منقادون له، ولا يقدح في هذا الوجه كون انقياد المسلمين أتمّ من انقياد أهل الكتاب، وطاعتهم أبلغ من طاعتهم.اهـ

ثانيا: قول الله عز وجل: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره": أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلىٰ الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، أي: تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾، أي: تعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾».اهـ

وساق حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قَدِمت أمي وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»، أخرجه البخاري(٢٦٢٠) ومسلم(١٠٠٣).

فعلم أَنَّ الآية المقصود بها من لا يقاتلون من النساء والضعفة والصبيان، أن هؤلاء لا يقتلون، بل يحسن إليهم.

ومن هذا الباب حديث أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم: «**نهىٰ عن قتل النساء والصبيان**».

ولا دلالة في هذه الآيات ولا في غيرها علىٰ هذه الدعوة الفاجرة إلىٰ التسامح مع الكفار.

ويناسب هنا أن أذكر فتوىٰ الإمام ابن باز رحمه الله من "مجموع فتاويه" (١٧٣/٢) بعنوان: (لا أخوة بين المسلمين والكافرين) وأردفها بفتوىٰ العلامة العثيمين، ثم فتوىٰ اللجنة الدائمة في هذا الصدد.

قال الإمام ابن باز رحمه الله: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها (٣٠٣١) الصادر بتاريخ (١٣٩٤/٨/٢٧ هـ) خبرًا يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذكرت فيه

أن الاحتفال بذلك يعد تأكيدًا لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهىٰ المقصود. كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها (٣٩٥) الصادر بتاريخ (١٣٩٤/٨/٢٩هـ) الخبر المذكور وذكرت ما نصه: (ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيدًا لسماحة الإسلام، وأن الدين واحد...) إلىٰ آخره.

ونظرًا إلىٰ ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة علىٰ أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني؛ لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب علىٰ جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه.

أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم، ومن الأدلة علىٰ ما ذكرنا قول الله سبحانه في [سورة الحجرات]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ الآية، وقول الله عز وجل في [سورة الممتحنة]: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الآية، وقوله سبحانه في [سورة المجادلة]: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالىٰ في [سورة التوبة]: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الآية، وقوله سبحانه في [سورة المائدة]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله عز وجل في [سورة آل عمران]: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الآية، وقوله تعالىٰ في السورة المذكورة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، وقوله عز وجل في [سورة المائدة]: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الآية، وقوله سبحانه في [سورة المائدة] أيضًا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية، وقوله تعالىٰ في [سورة الكهف]: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

وقول النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، ولا يكذبه...**»، الحديث رواه مسلم.

ففي هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف، وما جاء في معنىٰ ذلك من الآيات والأحاديث ما يدل دلالة ظاهرة علىٰ أن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم.

أما الكفار فيجب بغضهم في الله، ومعاداتهم فيه سبحانه، وتحرم موالاتهم وتوليهم حتىٰ يؤمنوا بالله وحده، ويدعوا ما هم عليه من الكفر والضلال.

كما دلت الآيات الأخيرة علىٰ أن الدين الحق هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ وسائر المرسلين.

وهذا هو معنىٰ قول النبي ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد**» رواه البخاري في "صحيحه".

أما ما سواه من الأديان الأخرىٰ، سواء كانت يهودية، أو نصرانية أو غيرهما،

فكلها باطلة، وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به، أو ما هو أكمل منه؛ لأنها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أما ما سواها فشرائع خاصة نسخت بشريعة محمد ﷺ التي هي أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد، كما قال الله سبحانه مُخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ الآية [المائدة:٤٨].

وقد أوجب الله علىٰ جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه، كما قال تعالىٰ في سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ثم قال عز وجل بعدها: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

ونفىٰ الإيمان عن جميع من لم يحكمه، فقال سبحانه في [سورة النساء]: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾، وحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بالكفر والشرك من أجل نسبتهم الولد لله سبحانه، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله عز وجل بقوله تعالىٰ في [سورة التوبة]: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ولو قيل: إن هذا الاحتفال يعتبر تأكيدا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع؛ لكان ذلك وجيها ولا محذور فيه.

والواجب النصح للهِ ولعباده، رأيت التنبيه على ذلك؛ لكونه من الأمور العظيمة التي قد تلتبس على بعض الناس.

وأسأل الله أن يوفقنا وسائر المسلمين للأخوة الصادقة في الله، والمحبة فيه ومن أجله، وأن يهدي أبناء البشرية جميعا للدخول في دين اللهِ الذي بعث به نبيه محمدًا ﷺ، والتمسك به وتحكيمه، ونبذ ما خالفه؛ لأن في ذلك السعادة الأبدية والنجاة في الدنيا والآخرة، كما أن فيه حل جميع المشاكل في الحاضر والمستقبل، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.اهـ

نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الرابع، السنة السابعة في ربيع الآخر سنة (١٣٩٥ هـ).

وقال العلامة العثيمين رحمه الله كما في "اللقاء الشهري" (١١/٧-٨): فالتسامح موجود في الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٧]

ليس التسامح خاصًّا بما ينشر عن دين المسيح عيسىٰ ابن مريم.

بل التسامح في الإسلام، لكن تسامح الإسلام في حزم، أي: إنه يشرع التسامح في الموضع الذي يكون فيه التسامح خيرًا، وأحيانًا لا يكون التسامح خيرًا؛ ولهذا قيد الله عز وجل العفو بالإصلاح، فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:٤٠]؛ لأن العفو أحيانًا لا يكون حميدًا، أحيانًا يكون العفو سببًا لتسلط الأشخاص واستمرارهم في شرورهم، وإذا أخذوا بالحزم وعوقبوا بما تقتضيه جرائمهم من العقوبة، كان في هذا خير كثير وكف أذىٰ؛ ولهذا يجب ألا نحكم العاطفة في العفو عن الجناة في كل حال، بل يجب أن يكون لدينا رأفة ورحمة، وأن يكون لدينا حزم وعزيمة وقوة، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾[النور:٢]، فنهىٰ الله تعالىٰ عن الرأفة للزاني والزانية، مع أن الرأفة مطلوبة، ومن أسماء الله الرءوف، لكن الرأفة لها محل، والحزم والأخذ بالعقوبة له محل آخر.اهـ

وقالت اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (١٩٤٠٢): الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلىٰ وحدة الأديان: دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارىٰ، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلىٰ بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلىٰ طباعة القرآن الكريم، والتوراة

والإنجيل في غلاف واحد، إلىٰ غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولا: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد علىٰ وجه الأرض دين حق سوىٰ دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق علىٰ وجه الأرض دين يتعبد الله به سوىٰ الإسلام، قال الله تعالىٰ في [سورة آل عمران الآية:١٩] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ وقال تعالىٰ: في [سورة المائدة الآية:٣] ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، وقال تعالىٰ: في [سورة آل عمران الآية:٨٥] ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالىٰ (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولًا وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوىٰ القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ في [سورة المائدة الآية:٤٨]: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾.

ثالثا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من

كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: في [سورة المائدة الآية:١٣] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وقوله جل وعلا في [سورة البقرة الآية:٧٩]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾، وقوله سبحانه: في [سورة آل عمران الآية:٧٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ ولهذا فما كان منها صحيحا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوىٰ ذلك فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأىٰ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**» أخرجه أحمد (٣/٣٨٧)، والدارمي في "المقدمة" (١/١١٥-١١٦)، والبزار "كشف الأستار" (١/٧٨-٧٩) برقم (١٢٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١ /٢٧) برقم (٥٠)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" [باب في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم) (١/٤٢) ط/ المنيرية، رواه أحمد، والدارمي، وغيرهما.

رابعا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالىٰ: في [سورة الأحزاب الآية:٤٠] ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوىٰ محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء اللهِ ورسله حيا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالىٰ في [سورة آل عمران

الآية:٨١]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

ونبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعا لمحمد ﷺ، وحاكما بشريعته، قال الله تعالىٰ في [سورة الأعراف الآية:١٥٧]: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

كما أن من أصول الاعتقاد في الاسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالىٰ في [سورة سبأ الآية:٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال سبحانه: في [سورة الأعراف الآية:١٥٨]: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وغيرها من الآيات.

خامسا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وتسميته كافرًا، ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالىٰ في [سورة البينة الآية:١]: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

وقال جل وعلا في [سورة البينة الآية:٦]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، وقال تعالىٰ في [سورة الأنعام

الآية:١٩]: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، وقال تعالىٰ في [سورة إبراهيم الآية:٥٢]: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الآية، وغيرها من الآيات.

وثبت في "صحيح مسلم" في [كتاب الإيمان (١٥٣)] و"مسند أحمد بن حنبل" (٣١٧/٢) أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**»؛ ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارىٰ فهو كافر؛ طردا لقاعدة الشريعة: **من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر.**

سادسا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية؛ فإن الدعوة إلىٰ (وحدة الأديان) والتقارب بينها، وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلىٰ ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه في [سورة البقرة الآية:٢١٧]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وقوله جل وعلا في سورة النساء الآية:٨٩]: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾.

سابعا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول في [سورة التوبة الآية ٢٩]: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، ويقول جل وعلا في [سورة التوبة الآية ٣٦]: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وقال تعالىٰ [في سورة آل عمران الآية ١١٨]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

ثامنا: إن الدعوة إلىٰ (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضىٰ بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء علىٰ ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعا: وبناء على ما تقدم:

١) فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا الدعوة إلىٰ هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلىٰ محافلها.

٢) لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣) كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره علىٰ الدين كله، ودعوة مادية إلىٰ أن الأديان ثلاثة، لأهل

الأرض التدين بأي منها، وأنها علىٰ قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارىٰ من عند الله، تعالىٰ الله عن ذلك.

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة علىٰ غير دين الإسلام، والله تعالىٰ يقول في [سورة آل عمران الآية ٨٥]: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ باللهِ من الكفر وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٢/١٦٢): ليست البِيَع والكنائس بيوتا للهِ، وإنما بيوت اللهِ المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها باللهِ، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار.

عاشرا: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلىٰ الإسلام واجبة علىٰ المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلىٰ قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالىٰ في [سورة آل عمران الآية:٦٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ

فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرىٰ الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان علىٰ ما يصفون، قال تعالىٰ في [سورة المائدة الآية: ٤٩]: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوىٰ الله تعالىٰ ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلىٰ بلاد المسلمين، وترويجها بينهم، نسأل الله سبحانه، بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام علىٰ هدىٰ ونور من ربنا حتىٰ نلقاه وهو راض عنا، وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.اهـ

وقالت اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٢١٤١٣): الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وبعد:

فقدِ اطَّلعتِ اللجنةُ الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علىٰ ما ورد إلىٰ سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين، المقيدة استفتاءاتهم في الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٨٦) وتاريخ (١٤٢١\١\٥هـ)، ورقم (١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨) وتاريخ (١٤٢١\٣\٢هـ) بشأن حكم بناء المعابد الكفرية في جزيرة العرب، مثل: بناء الكنائس للنصارىٰ، والمعابد لليهود وغيرهم من الكفرة، أو أنْ

يخصص صاحب شركة أو مؤسسة مكانًا للعمالة الكافرة لديهم يؤدون فيه عباداتهم الكفرية... إلخ.

وبعد دراسة اللجنة لهذه الاستفتاءات أجابت بما يلي:

كل دين غير دين الإسلام فهو كفر وضلال، وكل مكان للعبادة على غير دين الإسلام فهو بيت كفر وضلال؛ إذ لا تجوز عبادة الله إلا بما شرع سبحانه في الإسلام، وشريعة الإسلام خاتمة الشرائع، عامة للثقلين الجن والإنس، وناسخة لما قبلها، وهذا مجمع عليه بحمد الله تعالى.

ومن زعم أن اليهود على حق، أو النصارى على حق، سواء كان منهم أو من غيرهم؛ فهو مكذب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله محمد ﷺ، وإجماع الأمة، وهو مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بعد إقامة الحجة عليه، إن كان مثله ممن يخفى عليه ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال عز شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وثبت في "الصحيحين" وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»؛ ولهذا صار من ضروريات الدين تحريم الكفر الذي يقتضي تحريم التعبد لله، على خلاف ما جاء في شريعة الإسلام، ومنه تحريم بناء معابد وفق شرائع منسوخة يهودية أو نصرانية أو غيرهما؛ لأن تلك المعابد سواء كانت كنيسة أو غيرها تعتبر معابد كفرية؛ لأن

العبادات التي تؤدىٰ فيها علىٰ خلاف شريعة الإسلام الناسخة لجميع الشرائع قبلها والمبطلة لها، والله تعالىٰ يقول عن الكفار وأعمالهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ ولهذا أجمع العلماء علىٰ تحريم بناء المعابد الكفرية، مثل: الكنائس في بلاد المسلمين، وأنه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام، وأن لا يكون فيها شيء من شعائر الكفار لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا علىٰ وجوب هدم الكنائس وغيرها من المعابد الكفرية إذا أحدثت في أرض الإسلام، ولا تجوز معارضة ولي الأمر في هدمها، بل تجب طاعته، وأجمع العلماء رحمهم الله تعالىٰ علىٰ أن بناء المعابد الكفرية، ومنها الكنائس في جزيرة العرب أشد إثما وأعظم جرما؛ للأحاديث الصحيحة الصريحة بخصوص النهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب، منها قول النبي ﷺ: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**» رواه الإمام مالك وغيره، وأصله في "الصحيحين".

فجزيرة العرب حرم الإسلام، وقاعدته التي لا يجوز السماح أو الإذن لكافر باختراقها، ولا التجنس بجنسيتها، ولا التملك فيها، فضلا عن إقامة كنيسة فيها لِعُباد الصليب، فلا يجتمع فيها دينان، إلا دينًا واحدًا هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه ورسوله محمدا ﷺ، ولا يكون فيها قبلتان إلا قبلة واحدة هي قبلة المسلمين إلىٰ البيت العتيق، والحمد لله الذي وفق ولاة أمر هذه البلاد إلىٰ صد هذه المعابد الكفرية عن هذه الأرض الإسلامية الطاهرة.

وإلىٰ الله المشتكىٰ مما جلبه أعداء الإسلام من المعابد الكفرية من الكنائس وغيرها في كثير من بلاد المسلمين، نسأل الله أن يحفظ الإسلام من كيدهم ومكرهم.

وبهذا يعلم أن السماح والرضا بإنشاء المعابد الكفرية مثل الكنائس، أو تخصيص مكان لها في أي بلد من بلاد الإسلام من أعظم الإعانة علىٰ الكفر، وإظهار شعائره، والله عز شأنه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهود والنصارىٰ عبادة لله، وطاعة لرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه، أو أعانهم علىٰ فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة؛ فهو كافر.

وقال أيضا: من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسهم قربة إلىٰ الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرم عرف ذلك؛ فإن أصر صار مرتدًّا. انتهىٰ.

عائذين بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهداية، وليحذر المسلم أن يكون له نصيب من قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٥-٢٨]، وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.اهـ

وقالت اللجنة الدائمة فتوى برقم (٢٠٠٩٦) في التحذير من وسائل التنصير: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للناس أجمعين، خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فغير خافٍ علىٰ كل من نور الله بصيرته من المسلمين شدة عداوة الكافرين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم للمسلمين، وتحالف قواهم، واجتماعها ضد المسلمين؛ ليردوهم، وليلبسوا عليهم دينهم الحق: دين الإسلام، الذي بعث الله به خاتم أنبيائه ورسله: محمدًا ﷺ إلىٰ الناس أجمعين، وإن للكفار في الصد عن الإسلام وتضليل المسلمين، واحتوائهم، واستعمار عقولهم، والكيد لهم، وسائل شتىٰ، وقد نشطت دعواتهم وجمعياتهم وإرسالياتهم، وعظمت فتنتهم في زمننا هذا، فكان من وسائلهم ودعواتهم المضللة: بعث نشرة باسم: معهد أهل الكتاب في دولة جنوب أفريقيا، تبعث للأفراد والمؤسسات والجمعيات عبر صناديق البريد في جزيرة العرب، أصل الإسلام ومعقله الأخير، متضمنة هذه النشرة برامج دراسية عن طريق المراسلة، وبطاقة اشتراك بدون مقابل في كتب: (التوراة، والزبور، والإنجيل)، وعلىٰ ظهر هذه النشرة مقتطفات من هذه الكتب.

هذا وإنَّ من عاجل البشرىٰ للمسلمين استنكار هذا الغزو المنظم، والتحذير منه بجميع وسائله، وكان من هذه المواقف المحمودة: وصول عدد من الكتابات والمكالمات إلىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، آملين صدور بيان يقف أمام هذه النشرات، ويحذر من هذه الدعوات الكفرية الخطيرة علىٰ المسلمين، فنقول، وبالله التوفيق.

منذ أشرقت شمس الإسلام علىٰ الأرض، وأعداؤه علىٰ اختلاف عقائدهم ومللهم يكيدون له ليلًا ونهارًا، ويمكرون بأتباعه كلما سنحت لهم فرصة؛ ليخرجوا المسلمين من النور إلىٰ الظلمات، ويقوضوا دولة الاسلام، ويضعفوا سلطانه علىٰ النفوس، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالىٰ إذ يقول في [سورة

البقرة الآية:١٠٥] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وقال سبحانه في [سورة البقرة الآية:١٠٩]: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾، وقال جل وعلا في [سورة آل عمران الآية:١٤٩]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

وكان من أبرز أعداء هذا الدين: (النصارىٰ الحاقدون) الذين كانوا ولا يزالون يبذلون قصارىٰ جهدهم، وغاية وسعهم لمقاومة المد الإسلامي في أصقاع الدنيا، بل ومهاجمة الإسلام والمسلمين في عقر ديارهم، لاسيما في حالات الضعف التي تنتاب العالم الإسلامي كحالته الراهنة اليوم، ومن المعلوم بداهة أن الهدف من هذا الهجوم هو زعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، تمهيدا لإخراجهم من الإسلام، وإغرائهم باعتناق النصرانية، عبر ما يعرف خطأً بـ(التبشير)، وما هو إلا دعوة إلىٰ الوثنية في النصرانية المحرفة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونبي الله عيسىٰ عليه السلام منها براء، وقد أنفق النصارىٰ أموالا طائلة، وجهودًا كبيرة في سبيل تحقيق أحلامهم في تنصير العالم عمومًا، والمسلمين علىٰ وجه الخصوص، ولكن حالهم كما قال الله سبحانه في [سورة الأنفال الآية:٣٦]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، وقد عقدوا من أجل هذه الغاية مؤتمرات عدة، إقليمية وعالمية، منذ قرن من الزمان، وإلىٰ الآن توافد إليها المنصرون العاملون من كل مكان لتبادل الآراء والمقترحات حول أنجع الوسائل، وأهم النتائج، ورسموا لذلك الخطط ووضعوا البرامج، فكان

من وسائلهم:

١) إرسال البعثات التنصيرية إلىٰ بلدان العالم الإسلامي، والدعوة إلىٰ النصرانية من خلال توزيع المطبوعات من كتب ونشرات تعرف بالنصرانية، وترجمات للإنجيل، ومطبوعات للتشكيك في الإسلام، والهجوم عليه، وتشويه صورته أمام العالم.

٢) ثم اتجهوا أيضًا إلىٰ التنصير بطرق مغلفة، وأساليب غير مباشرة، ولعل من أخطر هذه الأساليب ما كان: عبر التطبيب، وتقديم الرعاية الصحية للإنسان، وقد ساهم في تأثير هذا الأسلوب عامل الحاجة إلىٰ العلاج، وكثرة انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البيئات الإسلامية، خصوصًا مع مرور زمن فيه ندرة الأطباء المسلمين، بل فقدانهم أصلًا في بعض البلاد الإسلامية.

٣) ومن تلك الأساليب أيضًا: التنصير عن طريق التعليم، وذلك إما بإنشاء المدارس والجامعات النصرانية صراحة، أو بفتح مدارس ذات صبغة تعليمية بحتة في الظاهر، وكيد نصراني في الباطن؛ مما جعل فئات من المسلمين يلقون بأبنائهم في تلك المدارس رغبة في تعلم لغة أجنبية، أو مواد خاصة أخرىٰ، ولا تَسَلْ بعد ذلك عن حجم الفرصة التي يمنحها المسلمون للنصارىٰ حين يهدون فلذات أكبادهم في سن الطفولة والمراهقة، حيث الفراغ العقلي والقابلية للتلقي، أيا كان الملقي، وأيا كان الملقىٰ.

٤) ومن أساليبهم كذلك: التنصير عبر وسائل الإعلام، وذلك من خلال الإذاعات الموجهة للعالم الإسلامي، إضافة إلىٰ طوفان البث المرئي عبر

القنوات الفضائية في السنوات الأخيرة، فضلا عن الصحف والمجلات والنشرات الصادرة بأعداد هائلة، وهذه الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة كلها تشترك في دفع عجلة التنصير من خلال مسالك عدة:

(أ) الدعوة إلى النصرانية بإظهار مزاياها الموهومة، والرحمة، والشفقة بالعالم أجمع.

(ب) إلقاء الشبهات على المسلمين في عقيدتهم، وشعائرهم، وعلاقاتهم الدينية.

(ج) نشر العري والخلاعة، وتهييج الشهوات؛ بغية الوصول إلى انحلال المشاهدين، وهدم أخلاقهم، ودك عفتهم، وذهاب حيائهم، وتحويل هؤلاء المنحلين إلى عباد شهوات، وطلاب متع رخيصة، فيسهل بعد ذلك دعوتهم إلى أي شيء، حتى لو كان إلى الردة والكفر بالله والعياذ بالله، وذلك بعد أن خبت جذوة الإيمان في القلوب، وانهار حاجز الوازع الديني في النفوس إلا من رحم الله.

وهناك وسائل أخرى للتنصير، يدركها الناظر ببصيرة في أحوال العالم الإسلامي، نتركها اختصارًا؛ إذ المقصود هنا التنبيه لا الحصر، وإلا فالأمر كما قال الله عز وجل في [سورة الأنفال الآية: ٣٠] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، وكما قال سبحانه في [سورة التوبة الآية:٣٢]: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

تلك مكائد المنصرين، وهذا مكرهم لإضلال المسلمين، فما واجب المسلمين تجاه ذلك؟ وكيف يكون التصدي لتلك الهجمات الشرسة على

الإسلام والمسلمين؟ لاشك أن المسئولية كبيرة ومشتركة بين المسلمين أفرادًا وجماعات، حكومات وشعوبًا؛ للوقوف أمام هذا الزحف المسموم، الذي يستهدف كل فرد من أفراد هذه الأمة المسلمة، كبيرًا كان أو صغيرًا، ذكرًا أو أنثىٰ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ويمكننا القول فيما يجب أداؤه علىٰ سبيل الإجمال -مع التسليم بأن لكل حال وواقع ما يناسبه من الإجراءات والتدابير الشرعية- ما يلي:

١) تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، من خلال مناهج التعليم وبرامج التربية بصفة عامة، مع التركيز علىٰ ترسيخها في قلوب الناشئة خاصة، في المدارس ودور التعليم الرسمية والأهلية.

٢) بث الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة جميعا، وشحن النفوس بالغيرة علىٰ الدين وحرماته ومقدساته.

٣) التأكيد علىٰ المنافذ التي يدخل منها النتاج التنصيري من أفلام ونشرات ومجلات وغيرها بعدم السماح لها بالدخول، ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالعقوبات الرادعة.

٤) تبصير الناس وتوعيتهم بمخاطر التنصير وأساليب المنصرين وطرائقهم للحذر منها وتجنب الوقوع في شباكها.

٥) الاهتمام بجميع الجوانب الأساسية في حياة الإنسان المسلم، ومنها الجانب الصحي والتعليمي علىٰ وجه الخصوص، إذ دلت الأحداث أنهما أخطر منفذين عبر من خلالهما النصارىٰ إلىٰ قلوب الناس وعقولهم.

٦) أن يتمسك كل مسلم في أي مكان على وجه الأرض بدينه وعقيدته مهما كانت الظروف والأحوال، وأن يقيم شعائر الإسلام في نفسه ومن تحت يده حسب قدرته واستطاعته، وأن يكون أهل بيته محصنين تحصينًا ذاتيًّا لمقاومة كل غزو ضدهم يستهدف عقيدتهم وأخلاقهم.

٧) الحذر من قبل كل فرد وأسرة من السفر إلى بلاد الكفار، إلا لحاجة شديدة، كعلاج أو علم ضروري لا يوجد في البلاد الإسلامية، مع الاستعداد لدفع الشبهات والفتنة في الدين الموجهة للمسلمين.

٨) تنشيط التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والتعاون بينهم، فيراعي الأثرياء حقوق الفقراء، ويبسطوا أيديهم بالخيرات والمشاريع النافعة؛ لسد حاجات المسلمين، حتى لا تمتد إليهم أيدي النصارى الملوثة، مستغلة حاجاتهم وفاقتهم.

وختامًا: نسألُ اللهَ الكريمَ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجمع شمل المسلمين على الحق، وأن يؤلف بين قلوبهم، ويصلح ذات بينهم، ويهديهم سبل السلام، وأن يحميهم من مكائد الأعداء، ويعيذهم من شرورهم، ويجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واردد كيده في نحره، وأدر عليه دائرة السوء؛ إنك على كل شيء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.اهـ

استدلالهم (ص٢٢) على التسامح بقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

الــرد:

الآية لا تعلق لمدلولها بالتسامح مع الكافرين.

قال الإمام ابن كثير عليه رحمة الله تعالى في "تفسيره" عند هذه الآية: يقول تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ، ممتنًّا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي: أيُّ شيء جعلك لهم لَيِّنًا؟ لولا رحمة الله بك وبهم، قال قتادة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾، يقول: فبرحمة من الله لنت لهم. و﴿ما﴾ صلة، والعربُ تصلها بالمعرفة كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وهكذا هاهنا قال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾، أي: برحمة من الله، وقال الحسن البصري: هذا خُلُقُ محمد ﷺ بعثه الله به.

وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حَيْوة، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا محمد بن زياد، حدثني أبو راشد الحُبْراني قال: أخذ بيدي أبو أَمَامة الباهلي، وقال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَبَا أُمَامَةَ، إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَلِينُ لِي قَلْبُه**»، انفرد به أحمد.

انتهى كلامه رحمه الله.

قلتُ: وهو حديثٌ صحيح.

فانظر أيها القارئ كيف يذهب هؤلاء الكتّاب إلى أدلة في وصف رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فينزلونها على التسامح مع الكافرين!!!

وهذا نوع من الإلحاد في آيات اللهِ، والميل بالأدلة عن مدلولها.

وقد توعد الله عز وجل هذا الصنف بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت:٤٠].

وعنونوا في رسالة "التسامح" (ص٢٣) رقم (٦) بقولهم:

احترام الكرامة الإنسانية لكل إنسان؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠].

الــرد:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" عند هذه الآية: يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين: ٤]، أي: يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا، وبصرًا، وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها، وخواصها، ومضارها، في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [الإسراء:٧٠]، أي: على الدواب من الأنعام والخيل،

والبغال، وفي البحر أيضًا على السفن الكبار والصغار.

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾، أي: من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات. انتهى كلامه رحمه الله.

ويبينها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٦].

قال الإمام ابن كثير عليه رحمة الله تعالى في "تفسيره" عند هذه الآية: وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سَويّ الأعضاء حسنها، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، أي: إلى النار. قاله مجاهد، وأبو العالية، والحسن، وابن زيد، وغيرهم، ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ﴾، وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، أي: إلى أرذل العمر. رُوي هذا عن ابن عباس، وعكرمة، حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر. واختار ذلك ابن جرير.

ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهَرَم قد يصيبُ بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه. انتهى كلامه رحمه الله.

ونظير ذلك قوله الله عز وجل: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣].

قال ابن كثير عليه رحمة الله تعالىٰ في "تفسيره" لهذه السورة: فأقسم تعالىٰ بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فاستثنىٰ من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، علىٰ المصائب والأقدار، وأذىٰ من يؤذىٰ ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

فهذه الآيات كلها في بيان امتنان الله عز وجل علىٰ الإنسان أنه ميّز خلقه علىٰ الحيوانات، فجعله في أحسن شكل: منتصب القامة، سويّ الأعضاء، وامتنان علىٰ المؤمن باللهِ، وأما من لم يكن من المؤمنين فهو مردود إلىٰ أسفل سافلين وهي النار كما قال مجاهد وغيره.

فأبان اللهُ منته علىٰ إحسان خلق الإنسان، وأن من سَخَّر هذه الجوارح في عبادة غير الله كان في أسفل السافلين، وعذبه العذاب المهين.

فعند التدبر ترىٰ بالفهم الصحيح الآيات في ذم الكفار وأهانتهم أيما أهانه.

وهؤلاء الكتّاب جعلوا الذم لهم مدحًا وكرامة، ويدعون الناس إلىٰ احترامهم!!

فهل رأت عيناك مثل هذا الفجور، والخبث، واللعب بكتاب الله العزيز.

وعنونوا (ص٢٣) رقم (٧) بقولهم:

الاعتراف بحرية المعتقد؛ أخذا من قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله أيضًا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

الــــرد:

ومعنىٰ حرية المعتقد: (أنَّ الإنسان يباح له أن يكون كافرًا وله أن يكون مسلمًا، فهو حر فيما يرغب فيه).

واللهُ عز وجل إذا جعل له حرية الاختيار في أي دين يريده؛ فإن اختار الكفر فعذبه الله عليه يكون ظالمًا له!!! وهذا القول أسوأ وأبشع من قول الجبرية؛ فإن مؤداه أَنَّ الله عز وجل خلق العباد لغير عبادته؛ ولأن الله إذا خيره بين الكفر والإيمان، فاختار الكفر اختاره بإذن له من الله، فكيف يعذبه عليه!!!

فتتعطل بهذا القول أوامر الله عز وجل بطاعته وعبادته، ووعيده وناره، ويصير الكفار والمجرمون مثل الأنبياء والمرسلين!!!

فالأنبياء اختاروا الإيمان وطاعة الملك الرحمن!!!

والكفار اختاروا الكفران والعصيان المأذون به من الملك الديان!!!

فاستبان بذلك كفر من دعىٰ إلىٰ حرية الأديان؛ لأن اللهَ خلق العباد لعبادته، وأمرهم بطاعته، وأنزل بذلك كتبه، وأرسل به رسله، وأقام بذلك قسطه وعدله، وناره وجنته.



وفي الدعوة إلىٰ حرية الأديان تعطيل ذلك كله، وقد تقدم من الأدلة ما يبين خطر هذا المقال، وفساد هذا الاستدلال من الذين جعلوا الدين يعود إلىٰ ذوق الإنسان.

ونُذَكّر هنا بقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء:١٥١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" عند هذه الآية: يتوعد تبارك وتعالىٰ الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارىٰ، حيث فَرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلىٰ ذلك؛ فإنه لا سبيل لهم إلىٰ ذلك، بل بمجرد الهوىٰ والعصبية.اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" عند هذه الآية: فهذه الآية عامة في جميع الأمور؛ وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ**

يكون هواه تبعًا لما جئت به»؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وبعد هذا فأكثر ما تسمع لدعاة التسامح مع الكافرين -كيوسف القرضاوي ونحوه- تحريف مدلول قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومعنى الآية عند أئمة المسلمين:

ما قاله الشنقيطي رحمه الله في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب": قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ هذه الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين، ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ [الفتح:١٦]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣]، أي: الشرك، ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**» الحديث متفق عليه.

والجواب عن هذا بأمرين:

الأول -وهو الأصح-: أنّ هذه الآية في خصوص أهل الكتاب، والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقا، وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود، وابن أبي حاتم، والنسائي، وابن حبان، وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما،

قال: (كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: (لا ندع أبناءنا)، فأنزل الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، المقلاة التي لا يعيش لها ولد، وفي المثل: (أحر من دمع المقلاة).

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نزلت ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلمًا، فقال للنبي ﷺ: ألا استكرههما؛ فإنهما أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله الآية.

وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير سأله أبو بشر عن هذه الآية؟ فقال: نزلت في الأنصار. قال: خاصة؟ قال: خاصة.

وأخرج ابن جرير عن قتادة بإسنادين في قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ قال: أكره عليه هذا الحي من العرب؛ لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقرّوا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ قال: أمر رسول الله ﷺ أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلاَّ: لا إله إلا الله، أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبلوا منهم الجزية؛ فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضًا في قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، قال: (وذلك لما دخل الناس في الإسلام، وأعطى أهل الكتاب الجزية.

فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية، ومن في حكمهم، ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن التخصيص فيها عرف بنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب، ومما يدل للخصوص أنه ثبت في "الصحيح" أن النبي ﷺ قال: «**عجب رَبُّك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل...** ».

قلتُ: الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وبنحوه في "صحيح البخاري" برقم (٤٥٥٧) في بيان قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" برقم (٢٦٧٧) وابن حبان برقم (١٣٤).

قال الحافظ بن حجر رحمه الله في شرح الحديث عند رقم (٣٠١٠): قوله: (باب الأسارى في السلاسل)، ذكر فيه حديث أبي هريرة «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**»، وقد أخرجه أبو داود من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد بلفظ: «**يقادون إلى الجنة بالسلاسل**»، وقد تقدم توجيه العجب في حق الله في أوائل الجهاد وأن معناه الرضا ونحو ذلك، قال ابن المنير: إن كان المراد حقيقة وضع السلاسل في الأعناق فالترجمة مطابقة، وإن كان المراد المجاز عن الإكراه فليست مطابقة. قلت: المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيد بحالة الدنيا؛ فلا مانع من حمله على حقيقته، والتقدير: يدخلون الجنة وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل، وسيأتي في تفسير [آل عمران] من وجه آخر عن أبي هريرة في قوله

تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: خير الناس للناس، يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام. قال ابن الجوزي: معناه أنهم أسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعًا، فدخلوا الجنة، فكان الإكراه علىٰ الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أطلق علىٰ الإكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب. وقال الطيبي: ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة: الجذب الذي يجذبه الحق من خلص عباده من الضلالة إلىٰ الهدىٰ، ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة إلىٰ العروج للدرجات، لكن الحديث في تفسير [آل عمران] يدل علىٰ أنه علىٰ الحقيقة، ونحوه ما أخرجه من طريق أبي الطفيل رفعه: «**رأيت ناسًا من أمتي يساقون إلىٰ الجنة في السلاسل كرها**» قلت: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**قوم من العجم يسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام مكرهين**»، وأما إبراهيم الحربي فمنع حمله علىٰ حقيقة التقييد، وقال: المعنىٰ يقادون إلىٰ الإسلام مكرهين؛ فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة، وليس المراد أن ثَمَّ سلسلة.اهـ

ثم قال الشنقيطي رحمه الله في نفس المصدر السابق:

الأمر الثاني: أنها منسوخة بآيات القتال كقوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:٥] الآية، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة، وسورة براءة من آخر ما نزل بها، والقول بالنسخ مروي عن ابن مسعود، وزيد بن أسلم.

وعلىٰ كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها: ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ الآية، والمتأخر أولىٰ من المتقدم، والعلم عند الله تعالىٰ.اهـ

وقال الإمام ابن كثير عليه رحمة الله تعالىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩]: يقول تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: وقل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مِرْيَة فيه ولا شك ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾، أي: أرصدنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾، أي: سورها.اهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في "تفسيره": قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾، ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ : رفع علىٰ خبر الابتداء المضمر، أي: قل هو الحق، وقيل: هو رفع علىٰ الابتداء، وخبره في قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ .

ومعنىٰ الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس، من ربكم الحق، فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدىٰ والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفًا، ويحرمه من يشاء وإن كان قويًّا غنيًّا، ولست بطارد المؤمنين لهواكم؛ فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا.

وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر، وإنما هو وعيد وتهديد، أي: إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.اهـ

قال أولئك الكُتَّاب (ص٢٣) تحت عنوان:

وأخيرًا تقرير سنة الحياة والاعتراف بحقيقة الاختلاف؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود:١١٨].

الــرد:

بتروا مدلول الآية، ولم يذكروا ما بعدها التي تبينها وهو قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: -١١٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾، أي: ولا يزال الخُلْفُ بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم، ومذاهبهم وآرائهم.

قال عكرمة: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الهدىٰ. وقال الحسن البصري: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الرزق، يُسخّر بعضهم بعضا. والمشهورُ الصحيح الأول.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾، أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين، أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتىٰ كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه ووازروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في "المسانيد" و"السنن"، من طرق يشد بعضها بعضًا: «**إن اليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن النصارىٰ افترقوا علىٰ ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة**»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟، قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» رواه الحاكم في

"مستدركه" بهذه الزيادة.

وقال عطاء: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: اليهود والنصارىٰ والمجوس ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ يعني: الحَنِيْفِيَّة.

وقال قتادة: أهلُ رحمة الله: أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن البصري -في رواية عنه-: وللاختلاف خَلَقهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: خلقهم فريقين، كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وقيل: للرحمة خلقهم. قال ابن وهب: أخبرني مسلم بن خالد، عن ابن أبي نَجِيح، عن طاوس؛ أن رجلين اختصما إليه فأكثرا فقال طاوس: اختلفتما فأكثرتما! فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا. فقال طاوس: كذبت. فقال: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة. كما قال الحكم بن أبان، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب. وكذا قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، ويرجع معنىٰ هذا القول إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقيل: بل المراد: وللرحمة والاختلاف خلقهم، كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: الناس مختلفون علىٰ أديان شتىٰ، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فمن رحم ربك غير مختلف.

قيل له: فلذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

وكذا قال عطاء بن أبي رَبَاح، والأعمش.

وقال ابن وَهْب: سألت مالكًا عن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وقد اختار هذا القول ابن جرير، وأبو عبيدة والفراء.

وعن مالك فيما رويناه عنه في التفسير: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للرحمة، وقال قوم: للاختلاف. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وقال البغوي رحمه الله في "معالم التنزيل": قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ﴾ كلهم ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ علىٰ دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] علىٰ أديان شتىٰ من بين يهودي، ونصراني، ومجوسي، ومشرك.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ معناه: لكن من رحم ربك، فهداهم إلىٰ الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألْتُ مالكًا عن هذه الآية؟ فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقال أبو عبيدة: الذي أختاره قول من قال: خلق فريقًا لرحمته وفريقًا لعذابه.

وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم.

وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف.

وحاصل الآية: أن أهل الباطل مختلفون، وأهل الحق متفقون، فخلق الله أهل الحق للاتفاق، وأهل الباطل للاختلاف. انتهىٰ كلامه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في** "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب": قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

اختلف العلماء في المشار إليه بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾، فقيل: إلَّا من رحم ربك وللرحمة خلقهم.

والتحقيق: أن المشار إليه هو اختلافهم إلىٰ شقيٍّ وسعيد، المذكور في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ولذلك الاختلاف خلقهم، فخلق فريقًا للجنة وفريقًا للسعير، كما نص عليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩].

وأخرج الشيخان في "صحيحهما" من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ثم يبعث اللهُ إليك الملك فيُؤمر بأربع كلمات: فيكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أم سعيد**».

وروىٰ مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا عائشة، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم**».

وفي "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف**

سنة، وكان عرشه على الماء».

وفي "الصحيحين" من حديث عمران بن حصين ﵁، عن النبي ﷺ: «**كلٌّ ميسرٌ لما خلق له**».

وإذا تقرَّر أن قوله تعالىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ معناه: أنه خلقهم لسعادة بعض وشقاوة بعض، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ الآية، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢]، فلا يخفىٰ ظهور التعارض بين هذه الآيات، مع قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: ونقله ابن جرير عن زيد بن أسلم، وسفيان: أن معنىٰ الآية: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: يعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق -التي هي عبادة الله- حاصلة بفعل السعداء منهم، كما أشار له قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وغاية ما يلزم علىٰ هذا القول، أنه أطلق المجموع وأراد بعضهم، وقد بيّنا أمثال ذلك من الآيات التي أطلق فيها المجموع مرادًا بعضه، في سورة الأنفال.

الوجه الثاني: هو ما رواه ابن جرير عن ابن عباس، واختاره ابن جرير: أن معنىٰ قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إلا ليقروا إليَّ بالعبودية طوعًا أو كرهًا؛ لأن المؤمن يُطيع باختياره، والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه جبرًا عليه.

الوجه الثالث -ويظهر لي أنه هو الحق؛ لدلالة القرآن عليه-**:** أن الإرادة في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إرادة كونية قدرية، والإرادية في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إرادة شرعية دينية، فبيّن في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وقوله:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[الأعراف: ١٧٩]، أي: إنه أراد بإرادته الكونية القدرية صيرورة قوم إلىٰ السعادة، وآخرين إلىٰ الشقاوة، وبيّن بقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أنه يريد العبادة بإرادته الشرعية الدينية من الجن والإنس، فيوفق من شاء بإرادته الكونية فيعبده، ويخذل من شاء فيمتنع من العبادة.

ووجه دلالة القرآن على هذا: أنه تعالىٰ بيَّنه بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤] فعمَّم الإرادة الشرعية بقوله: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ وبيّن التخصيص في الطاعة بالإرادة الكونية بقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فالدعوة عامة، والتوفيق خاصٌ.

وتحقيق النسبة بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية الدينية: أنه بالنسبة إلىٰ وجود المراد وعدم وجوده، فالإرادة الكونية أعمُّ مطلقًا؛ لأن كل مراد شرعًا يتحقق وجوده في الخارج إذا أُريد كونًا وقدرًا، كإيمان أبي بكر، وليس يوجد ما لم يرد كونًا وقدرًا ولو أريد شرعًا، كإيمان أبي لهب، فكل مراد شرعي حصل فبالإرادة الكونية، وليس كل مراد كوني حصل مرادًا في الشرع.

وأما بالنسبة إلىٰ تعلُّق الإرادتين بعبادة الإنس والجن لله تعالىٰ، فالإرادة الشرعية أعمُّ مطلقًا، والإرادة الكونية أخصُّ مطلقًا؛ لأن كل فرد من أفراد الجن والإنس أراد الله منه العبادة شرعًا لم يُردها من كُلّهم كونًا وقدرًا فتعمُّ الإرادة الشرعية عبادة جميع الثقليْن، وتختصُّ الإرادة الكونية بعبادة السعداء منهم، كما قدَّمنا من أن الدعوة عامة، والتوفيق خاص كما بينه تعالىٰ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فصرَّح بأنه يدعو الكل، ويهدي من شاء منهم.

وليست النسبة بين الإرادة الشرعية والقدرية العموم والخصوص من وجه؛ بل هي العموم والخصوص المُطلق، كما بينا، إلا أن إحداهما أعمُّ مطلقًا من الأخرىٰ باعتبار، والثانية أعمُّ مطلقًا باعتبار آخر، كما بينا، والعلم عند الله تعالىٰ. انتهىٰ كلام الشنقيطي رحمه الله.

والصحيح في هذه المعاني: أن الله عز وجل خلق العباد ليبلوَ بعضهم ببعض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

فالله عز وجل لو شاء لجعل الناس أمة واحدة علىٰ الإسلام ولا يختلفون، ولكن اقتضت حكمة الله أنهم يختلفون إلىٰ مسلم وكافر، وبرٍ وفاجر؛ ليبلوَ بعضهم ببعض، فيقوم الجهاد، وإنكار المنكر، والصبر، والعلم، وغير ذلك.

هذا ومن رحمهم الله لا يختلفون، بل هم علىٰ الحق متفقون، وبكتاب ربهم

متبعون، وبه معتصمون، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

قلت: فحاصل ذلك: ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدة مسلمين، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩].

ولكن اقتضت حكمة الله أنهم يختلفون؛ فيكون منهم الكافر من أهل النار، والمؤمن من أهل الجنة.

وفي "الصحيحين" مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اخْتَصَمَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَىٰ رَبِّهِمَا، فَقَالَتْ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لا يَدْخُلُهَا إِلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. وَقَالَتْ النَّارُ: يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**».

فعلم أَنَّ معنىٰ ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾: أَنّ من رحمهم الله لا يختلفون، كما ذكره ابن جرير في "تفسيره" عن عدد من الأئمة المفسرين، وهو الصحيح.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾:

قال الحسن: خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لعذابه وهؤلاء

لرحمته، أما أهل رحمته فإنهم لا يختلفون اختلافًا يضرهم.

وقال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقًا يُرحم فلا يختلف، وفريقًا لا يُرحم فيختلف، وذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥].

وقال عطاء ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، قال: من جعله من أهل الإسلام، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال: منهم مؤمن وكافر.

وكذا قال الأعمش، وهو قول مالك، وصحح هذا القول ابن العربي في كتابه: "أحكام القرآن" مستدلًّا بأدلةٍ، منها: قوله تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ:٧].

وبعد هذا تعلم أن هذا علم اللهِ، يكون الناس منهم مسلم ومنهم كافر، ولم يعترف بأحقيه الكفر، بل ذمه الله وتوعد أهله بأشد الوعيد والنكال في كتابه العزيز بما يفوق الحصر، وأن سنة الحياة التي خلق الله العباد لها هي عبادته وليس الكفر به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأَنَّ سنته فيمن عصاه أن يهلكه ويعذبه في ناره، ويخزيه في الدنيا والأخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨].

قال ابن كثير عليه رحمة الله: أي: نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣].

قال الإمام ابن كثير عليه رحمة الله: قد عُلم ما فَعَلَ تعالىٰ بمن كذب رسله

من الهلاك والدمار، وكيف أنجىٰ الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة.اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾ [الكهف:٥٥].

قال الإمام ابن كثير عليه رحمة الله: يخبر تعالىٰ عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والآثار، والدلالات الواضحات، وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا، كما قال أولئك لنبيهم: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وآخرون قالوا: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وقالت قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الأنفال:٣٢]، ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۞ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦ - ٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ ذلك.

ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ من غشيانهم بالعذاب، وأخذهم عن آخرهم، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾ [الكهف:٥٥]، أي: يرونه عيانًا مواجهة ومقابلة. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ۞ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فهل ينظرون سنة الأولين، أي: عقوبة الله لهم علىٰ



تكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره، فلن تجد لسنة الله تبديلًا، أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب.اهـ

وأقول: إنَّ هذه السنة الكفرية التي هذا حال أهلها هي التي يدعو إليها هؤلاء الكتّاب، وهي سنة الكافرين من الخزي في الدنيا، وفي الآخرة العذاب المهين، نسأل الله العافية من غضبه وأليم عقابه.

وقال هؤلاء الكتّاب (ص(٢٤)):

وإذا ذهبنا إلى الهدي النبوي ومواقف الرسول ﷺ مع مختلف الأنماط البشرية بتباين طباعهم، وعقولهم، وعقائدهم؛ فإننا سنعثر على ميراث إسلامي كبير في قضية التسامح قولاً، وهديًا، وعملاً، وسلوكًا، فعلى سبيل المثال لا الحصر: فهو ﷺ مثال للرحمة المهداة، فقال ﷺ: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة»؛ فإن الرحمة والسلم جاء بهما الإسلام للناس كافة.

الـــرد:

قولهم: فإنّ الرحمة والسلم جاء بها الإسلام للناس كافة!!.

هذا الإطلاق باطل؛ فإنّ هذا الحديث نظير قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قال فحول المفسرين، ومنهم: الإمام ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة،

ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨]، وقال الله تعالى في صفة القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال مسلم رحمه الله في "صحيحه": حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا مروان الفَزَاريّ، عن يزيد بن كَيْسَان، عن ابن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «**إني لم أبعَثْ لَعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رحمة**»، وفي الحديث الآخر: «**إنما أنا رحمة مهداة**».

فدلّت الآية والحديث، وما في بابها من الأدلة، على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فخصّ رحمته بالمتقين، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

كلها تدل أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رحمةٌ مهداةٌ لمن قبلها وآمن به، وهم المؤمنون.

ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١].

ولم يجعل عز وجل رحمته للكافرين، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ



ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:١٧٥].

وأما ما يمد به الكافرين من النِعم؛ فهذا استدراجٌ لهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾، أي: الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أي: يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ ولهذا قال متهددًا لهم ومتواعدًا: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾، أي: في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾، أي: إلىٰ حين حينهم وهلاكهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣].

وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبأ:٣٥]، لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل

إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً؛ ولهذا قال: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ❁ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥]، وقال: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ❁ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ❁ وَبَنِينَ شُهُودًا ❁ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ❁ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ❁ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر:١١-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، والآيات في هذا كثيرة.

قال قتادة في قوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ❁ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون:٥٥-٥٦] قال: مُكِرَ والله بالقوم في أموالهم وأولادهم، يا ابن آدم، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عُبَيْد، حدثنا أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة الهمداني، حدثنا عبد الله بن مسعود ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ قَسَم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يُعطي الدنيا من يُحِبّ ومن لا يحب، ولا يعطي الدِّين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتىٰ يأمن جاره بوائقه**» قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: «**غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار، إن الله لا**

يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

ومن عبث هؤلاء الكتّاب الفجرة بالأدلة استدلالهم على التسامح مع الكافرين (ص٢٧):

في قولهم: لقد جعل الله سبحانه وتعالى الرسالة الإسلامية عامة للناس جميعًا بلا استثناء، صالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨].

الـــرد:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[سبأ: ٢٨]، أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾، أي: تبشر مَنْ أطاعك بالجنة، وتنذر مَنْ عصاك بالنار. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾». اهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾، أي: وما أرسلناك إلَّا للناس كافة، أي: عامة، ففي الكلام تقديم وتأخير.

وقال الزجاج: أي: وما أرسلناك إلَّا جامعًا للناس بالإنذار، والإبلاغ، والكافة بمعنى: الجامع.

وقيل: معناه كافًّا للناس، تكفّهم عمّا هم فيه من الكفر وتدعوهم إلىٰ الإسلام. والهاء للمبالغة.

وقيل: أي: إلا ذا كافة، فحذف المضاف، أي: ذا منع للناس من أن يشذوا عن تبليغك، أو ذا منع لهم من الكفر، ومنه: كف الثوب؛ لأنه ضم طرفيه.

﴿بَشِيْرًا﴾، أي: بالجنة لمن أطاع.

﴿وَنَذِيْرًا﴾ من النار لمن كفر.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عند الله وهم المشركون.اهـ

وأعجب من ذلك استدلالهم الآتي:

قولهم (ص٢٧): ولقد بين لنا ربنا تبارك وتعالى المنهج السليم القويم في الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

الــــرد:

استدلالهم بهذه الآية من العجائب، قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

فالآية تدل علىٰ الدعوة إلىٰ سبيل ربك، وهم يدعون الناس إلىٰ سبيل الشيطان من مودة الكافرين والتسامح معهم!!

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

يقول تعالى آمرًا رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها؛ ليحذروا بأس الله تعالى.اهـ

وقولهم (ص٢٨): ومن هنا وضع القرآن الكريم الأسس المبنية على التسامح في الدعوة إلى الله وتبليغ الإسلام للناس، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

الــرد:

هذه الآية ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] تهدم دعوة هؤلاء المتغربين العملاء؛ لأن الكلمة السواء التي أمر الله بالدعوة إليها هي توحيده عز وجل، وهؤلاء يستدلون بها جهلًا، أو تجاهلًا على حلٍّ وسط بين المسلمين والكفار، بحيث إن المسلمين يتسامحون ويتنازلون، ويقربون إلى الكفار حتى يتسامحوا، وتجتمع كلمتهم؛ فيصير المسلمون على ما دل عليه قول الله تعالى في المنافقين ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ

فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا، ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، أي: عدل ونَصَف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾.

لا وَثَنا، ولا صنمًا، ولا صليبًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نُفْرِدُ العبادة للهِ وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال ابن جُرَيْج: يعني: لا يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشْهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم.

وفي "صحيح البخاري" في حديث طويل برقم (٤٥٥٣) والغرض منه أنّه قال: ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ: فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ؛ فَإِن تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأريسيِّين، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**».

قولهم (ص٢٨): ومما يؤكد عظمة الإسلام وأنه بلغ في التسامح مبلغًا عظيمًا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، فهذا هو الإسلام في بنائه للذات والمجتمع: تسامح هادف، وحوار هادئ.

الــرد:

تقدم (ص٩٤) بيان جرم هذا التحريف عند تحريفهم لمدلول آية: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

فانظر أيّها المسلم كيف يستدلون بآية البراءة من المشركين على موالاة المشركين والتسامح معهم!!

وانظر كلام أئمة الهدىٰ في تفسير هذه السورة العظيمة:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوا رسول اللهِ ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له. ﴿مَآ﴾ هاهنا بمعنىٰ: (من).

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، أي: ولا أعبد

عبادتكم، أي: لا أسلكها، ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، أي: لا تقتدون بأوامر اللهِ وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه؛ فإن العابد لابد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي: لا معبود إلَّا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير اللهِ عبادة لم يأذن بها اللهُ؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].اهـ

وقال الإمام ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص٨٩) تحقيق العلامة الألباني رحمه الله: ثُمَّ التَّوْحِيْدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللهِ، وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الْإِثْبَاتِ وَالمَعْرِفَةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ.

فَالأَوَّلُ: هُوَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكَمَا أَخْبَرَ رَسُولُهُ ﷺ.

وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الْإِفْصَاحِ، كَمَا فِي أَوَّلِ [الْـحدِيدِ]، وَ [طه]، وَآخِرِ [الْـحشْرِ]، وَأَوَّلِ ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ، وَأَوَّلِ [آلِ عِمْرَانَ]، وَسُورَةِ [الْإِخْلَاصِ] بِكَمَالِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ، مِثْلَ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:٦٤].

وَأَوَّلُ سُورَةِ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة:٢] وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةِ [يُونُسَ] وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةِ [الْأَعْرَافِ] وَآخِرُهَا، وَجُمْلَةُ سُورَةِ [الْأَنْعَامِ].

وَغَالِبُ سُوَرِ الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعَيِ التَّوْحِيدِ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ.

وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ؛ فَذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الْعُقْبَىٰ مِنَ الْعَذَابِ فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ.اهـ

فليس في السورة أدنىٰ متعلق أنها إقرار لهم علىٰ دينهم الكفري، فلم يرضَ الله عز وجل ذلك ولم يقره لهم، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر:٧].

وإنما فيها البراءة من عبادتهم الشركية، وأبان لهم أنهم كفار بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].

وأَنَّ دينهم الذي أصروا عليه هو منه براء، وهذه السورة كقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

وأمّا قولهم (ص٢٩-٣٠): فهذا هو الإسلام في بنائه للذات والمجتمع، تسامح هادف وحوار هادئ، قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٦].

وأمر الله سبحانه وتعالى أن تكون المجادلة بالتي هي أحسن في الخلق وحسن الحوار، وفي الرد بأدب رفيع يُقصد به إظهار الحق وهداية الخلق، على أساس من الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بالكتب السماوية المنزلة عليهم، وبالأنبياء الذين بعثوا إليهم؛ فإن ذلك أدعى لقبولهم الإسلام، واستجابتهم لدعوته، فلله تبارك وتعالى الحكمة البالغة وهو على كل شيء قدير.

الـــرد:

فقد قدّمنا الرد على هذا العبث بنصوص الوحي والتلبيسات الشيطانية عند تحريفهم لآية النحل بما يغني عن تكراره هنا.

ثم استدل هؤلاء الزائغون:

بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، على التسامح مع الكافرين، بما مؤداه أن الله عز وجل ما جعل الكافر كافراً والمؤمن مؤمناً إلا وهو جعل للعبد حريته يختار الكفر أو الإسلام، فلا يلام على كفره !!!

لكون هذا الكفر منه بإذن ورضا من الله عز وجل!!! وأبانوا ذلك (ص٣٢) بقولهم: (**فالإسلام يأمر بالتسامح في التعامل مع ما يختار الإنسان لنفسه من المعتقد ولا يجبر على تغيير معتقده**) !!

الــــرد:

وهذه الأقوال البائرة تقدم بيان فسادها عند تحريفهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

مع آية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ونزيد هنا أن معنىٰ آية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] علىٰ ما قاله أئمة الهدىٰ لا علىٰ تحريف أهل الزيغ والردىٰ.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، أي: لاضطرهم إليه.

﴿كُلُّهُمْ﴾ تأكيد لـ ﴿مَن﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ عند سيبويه نصب علىٰ الحال.

وقال الأخفش: جاء بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ بعد كلّ تأكيدًا، كقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كان النبي ﷺ حريصًا علىٰ إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالىٰ أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول.اهـ

وقال البغوي رحمه الله في "تفسيره": قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٩-١٠١].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ وذلك أنّه كان حريصًا على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من اللهِ السعادة، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة.اهـ

وقولهم (ص٣٣): ... إلا أنه أكد تسامحه عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة فاتحاً، وجمع أهلها؛ فإنه ﷺ قال لهم: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟»، قالوا: خيرًا. أخٌ كريم وابنُ كريم، قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

الـــرد:

القصة بهذا السياق عزاها إلىٰ ابن إسحاق في "السيرة" (٤/٤١٢) ومن طريقه ابن كثير في "البداية والنهاية" (٦/٥٦٧) حوادث سنة (٨) في صفة دخول مكة.

وعن ابن إسحاق أخرجها الطبري في "التاريخ" (٣/١٢٠) قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أَنَّ رسول الله ﷺ...، فذكر القصة.

وهي قصة ضعيفة ذكرها العلامة الألباني رحمه الله في كتابه "سلسلة الأحاديث الضعيفة" برقم (١١٦٦)، وقال: وهذا سند ضعيف مرسل؛ لأن شيخ ابن إسحاق لم يُسَمَّ فهو مجهول، ثم هو ليس صحابيًّا؛ لأن ابن إسحاق لم يدرك أحدًا من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين وأقرانه، فهو مرسل أو معضل.

قلتُ: فيه علتان كل واحدة لا يصلح بها في الشواهد فضلًا عن الاحتجاج به، وفضلًا عنِ اجتماعهما في سند واحد.

والعلتان أحدهما: هذا المبهم الذي حدث ابن إسحاق لا يدرىٰ من هو، وبعض الذين أخذ عنهم ابن إسحاق ليسوا عدولًا، فقد ذكر الذهبي في ترجمته من "ميزان الاعتدال" عن يحيىٰ -وهو ابن سعيد- قال: العجيب عن ابن إسحاق يحدث عن أهل الكتاب ويرغب عن شرحبيل.

العلة الثانية: الإعضال؛ فإن رواية ابن إسحاق هذه عن بعض الصحابة، ورواية طبقتهم عن النبي ﷺ معضلة؛ والمعضل شديد الضعف.

وكُتّاب رسالة "التسامح" وأمثالها قوم زائغون، ليسو عند معرفة الحق والسنة، والصحيح والضعيف، كما عُلِم من سيرتهم في هذا الجزء المسمىٰ "التسامح" الذي يجب حجره وإحراقه، ولا يجوز نشره وإطلاقه.

ولكن ما ذكرناه هنا لعله يستفيد منه من قد يطلع علىٰ هذا الرد ممن يرفع لهذا الدين رأسه، ويخاف من الله عز وجل عقابه وبأسه.

وظنّوا أنَّ من أدلة هذا التسامح الطاغوتي ما ذكروه (ص٣٤، و٣٥):

حديث: «لا، ولكني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله تعالى» وقصة إطلاقه لثمامة بن أثال.

الرد:

قصة ثمامة رضي الله عنه في "صحيح البخاري" رقم (٤٦٢)، ومسلم (١٧٦٤).

وسياق القصة أخرج البخاري برقم (٣٢٣١)، و"مسلم" رقم (١٧٩٥) عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ**

لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح»: وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.اهـ

وليس فيه أدنىٰ متعلق لهذه الدعوىٰ الظالم أهلها، وإنما النبي ﷺ مؤيد بالوحي فأطلعه الله عز وجل علىٰ أنه سيكون من قريش من يعبد الله، فلم يأمر ملك الجبال أن يطبق علىٰ قريش الأخشبين -أي: الجبلين- رجاء ذلك؛ فحقق الله رجاءه، ونبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لما أطلعه الله أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، دعا علىٰ قومه بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٦-٢٧].

وأما قصة ثمامة؛ فإن الأسير لا يجوز تركه بغير طعام، قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]، فكانوا يعطون الأسرىٰ طعامًا، ولما رأىٰ بشائر رغبته في الإسلام أطلقه؛ فأسلم.

قال النووي رحمه الله: فيه جواز المن علىٰ الأسير.اهـ

بيان قول الله تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في "تفسيره": يقول تعالىٰ مرشدًا للمؤمنين إلىٰ ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف، ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا﴾، أي: أهلكتموهم قتلًا، فشدوا وثاق الأسارىٰ الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب، وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم: إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانا، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشاطرونهم عليه. والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر؛ فإن الله سبحانه عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارىٰ يومئذ ليأخذوا منهم الفداء، والتقلل من القتل يومئذ؛ فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٧،٦٨].

ثم قدِ ادَّعىٰ بعض العلماء أن هذه الآية -المخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه- منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ الآية [التوبة: ٥]، رواه العوفي عن ابن عباس، وقاله قتادة، والضحاك، والسدي، وابن جُرَيْج.

وقال الآخرون -وهم الأكثرون-: ليست بمنسوخة.

ثم قال بعضهم: إنما الإمام مُخَيَّر بين المن على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله.

وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء؛ لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي مُعَيط من أسارىٰ بدر، وقال ثمامة بن أثال لرسول اللهِ ﷺ حين قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال: إن تَقْتَلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإن تمنن تمنن علىٰ شاكر، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تُعطَ منه ما شئت.

وزاد الشافعي رحمه الله فقال: الإمام مخير بين قتله، أو المن عليه، أو مفاداته، أو استرقاقه أيضا. وهذه المسألة مُحَرّرة في علم الفروع، وقد دللنا علىٰ ذلك في كتابنا "الأحكام"، وللهِ الحمد والمنة.اهـ

وقصة أهل نجران التي ذكروها (ص٣٨): قصة مذكورة في "السيرة" لابن إسحاق كما أحالها هؤلاء الكُتَّاب.

الـــرد:

قال ابن إسحاق: وفد على رسول الله ﷺ وفد نجران...، فذكر القصة.

وهذا معضل؛ فإن ابن إسحاق لم يدرك أحدًا من الصحابة فضلًا عن أنه أدرك رسول الله ﷺ وحضر هذه القصة عنده.

وتقدم أَنَّ المعضل شديد الضعف، وعلى تقدير ثبوتها؛ فإن في سياق قصتهم ردٌّ على هؤلاء الكتاب؛ لأن النبي ﷺ فرض عليهم الجزية كما في "زاد المعاد" لابن القيم (٣/٥٤٩-) وما بعدها.

والله عز وجل يقول: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

فهذا فيه إصغار لأسياد هؤلاء الكتّاب، وليس فيه إكرامهم، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ دليلٌ على ذلك.

قولهم في (ص٣٨-٣٩): ومن معاهدته ﷺ المعاهدة التي كانت بينه وبين يهود بني عوف، والتي يظهر في بنودها التسامح معهم والتعايش بسلام، وأمن للجميع؛ فقد كان من بنودها: (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم...)، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

الــرد:

قال النووي رحمه الله في "شرح صحيح مسلم" -تحت حديث رقم(١٨٠١) [باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود]- قال: ذكر مسلم فيه قصة محمد بن مسلمة مع كعب بن الأشرف بالحيلة التي ذكرها من مخادعته، واختلف العلماء في سبب ذلك وجوابه:

فقال الإمام المازري: إنما قتله كذلك؛ لأنه نقض عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهجاه، وسبه، وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدًا، ثم جاء مع أهل الحرب معينًا عليه.

قال: وقد أشكل قتله على هذا الوجه على بعضهم، ولم يعرف الجواب الذي ذكرناه.اهـ

قلتُ: فهذا يدل أنهم عاهدوا أن لا يناصروا عليه أحدًا، وأن لا يحصل منهم أذى، ولما نقضوا العهد مكنه الله منهم؛ فأجلى بعضًا وقتل آخرين، فأين التسامح في هذا العهد؟!!

قولهم (ص٤١): تؤكد آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية على كرامة الإنسان الذي خلقه رب العزة، وأسجد له الملائكة سجود تكريم، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

وقول الرسول ﷺ: «الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب».

الــرد:

وتحت هذا العنوان حرفوا مدلول عددٍ من الأدلة؛ لقصد الاستدلال بها على التسامح مع الكافرين.

فأضحكوا على أنفسهم، وأبانوا عن سفه عقولهم.

فهل في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] وحديث: «**الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب**»؛ دلالةٌ على تكريم كل كافر؟!! أم أَنَّ هذا تكريم لآدم بخصوصه، ولا يشمل التكريم لمن أهانه الله عز وجل بالكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

قال القاسمي رحمه الله في "محاسن التأويل" في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤]، قال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ ﴾ لما أنباهم بأسماء، وعلمهم ما لم يعلموا، أمرهم بالسجود له، على وجه التحية والتكرمة؛ تعظيمًا له، واعترافًا لفضله، واعتذارًا عما قالوا فيه.

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام.

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾، أي: امتنع عن السجود.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾، أي: تكبر، وقال: أنا خير منه، فالسين للمبالغة.

﴿وَكَانَ﴾: في سابق علم الله أو صار ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.اهـ

قلتُ: فالذي أهان الله إبليس به -وهو الكفر- هو حاصل في الذين يحرفون الأدلة من أجل التسامح معهم، فما حصل لإبليس من الطرد من رحمة الله والإهانة حاصل لهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم:٢٢].

وما حصل لآدم من الإكرام يحصل بابه لمن سار على ما سار عليه آدم من الإيمان؛ قد جعل الله لكل شيء قدرًا.

فمناط الإكرام طاعة الله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]، ومدار الإهانة معصيته، وأعظمها الكفر.

والله عز وجل قد ميّز بين الخبيث والطيب، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧].

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

وفي "الصحيح": «**يا آدم، أخرج بعث النار. قال: من كم؟ قال:من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة**».

فما خلق الله الجنة إلا لإكرام المؤمنين، ولا خلق النار إلا لإهلاك وإهانة الكافرين، وليسوا سواء في الكرامة في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ * ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الجاثية:٣٠-٣٥].

ومن عبثهم بالأدلة استدلالهم (ص٤٣):

بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

الـــرد:

والآية ردٌّ عليهم؛ لأن الله نهىٰ عن طاعتهما في معصيته، وفي "الصحيح": «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

وللوالدين مزيد حقوق مهمة توجب الإحسان إليهما من باب رد المعروف بغير ارتكاب معصية الله.

وليس كل الناس من أبرار وفجّار لهم ما للوالدين، ومع ذلك لا يطاعون في معصية الله، وتدبروا قول الله عزوجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ومن عبثهم بالأدلة استدلالهم على هذا التسامح (ص٤٣):

بقول الله عزوجل: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

الــرد:

وقد تقدم الرد عليه (ص٦٢) وبيان سوء تحريفهم لمدلولها كما هو حالهم في العبث بأدلة القرآن والسنة.

ومن عبثهم بالأدلة لفتنتهم هذه ماذكروا في (ص٤٥):

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة:٦٠].

الــرد:

والمعنىٰ من هذا الاستدلال: أن من التسامح معهم إعطاؤهم قسطًا من أموال الصدقة، فلم يقنعوا بدعوة المسلمين إلىٰ محبة الكفار حتىٰ يحرضوهم علىٰ دفع أموالهم لهم؛ فيستعينون بها علىٰ المسلمين.

قال كثير من المفسرين: إنّ (المؤلفة قلوبهم) لا يعطون من الصدقة بعد موت النبي ﷺ؛ لأن الله قد أعز الإسلام وأهله، ومكَّن للإسلام في البلاد، وأذلّ لهم رقاب العباد.

قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم": تحت حديث رقم (٢٣١٢): وأما مؤلفة



الكفار فلا يعطون من الزكاة، وفي إعطائهم من غيرها خلاف، والأصح عندنا: لا يعطون؛ لأن الله عز وجل قد أعز الإسلام عن التألف بخلاف أول الأمر.اهـ

ومن قال: (إنهم يعطون) لم يعمم ذلك في اليهود والنصارىٰ، وسائر الكفار، بل قال: هم ثلاثة أصناف:

❁ قوم يعطون لما يرجىٰ أنه يسلم لما ثبت في "صحيح مسلم" برقم (٢٣١٢): عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتىٰ قومه، فقال: أي قوم، أسلموا، فوالله، إن محمدًا ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر. فقال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

❁ وقوم مسلمون ضعفاء الإسلام يعطون لتقوية إيمانهم؛ لأنهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

وفي "صحيح البخاري" برقم (٤٧٤٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدمُ الْمَدِينَةَ؛ فَإِنْ وَلَدَتْ امْرَأَتُهُ غُلامًا وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ. وَإِنْ لَمْ تَلِدْ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ.

❁ وآخرون يعطون من أجل أن يجمعوا الصدقة ممن يليهم ويجبونها للمسلمين؛ وليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد.

وهذا نظير ما أباحه الله من أخذ الجزية من الكفار وهم صاغرون؛ ليستعين بها المسلمون على الجهاد في سبيل الله بما يعود بالنفع على الإسلام وأهله، وبما لا

ضرر من دفع الجزية، فقياسات هؤلاء الكتّاب هنا أقيسة كلها فاسدة؛ لمصادمتها نصوص الكتاب والسنة.

قولهم: في (ص٤٦): بل إن المسلمين قد بلغوا مبلغًا عظيمًا في التسامح عندما كانوا يطعمون الأسرى، وإن كانوا من غير المسلمين في زمنٍ لم يكن هناك قانون دولي، ولا منظومة حقوق الأسير، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨].

الـــرد:

وليس في الآية التسامح مع الكفار، وإنما فيها فضيلة إطعام الطعام على حبه، قال ابن عباس: على قلّته.

فيطعمون منه المسكين، وفقراء المسلمين الذين تصح الصدقة عليهم واليتيم كذلك، قال القرطبي: أي: من يتامى المسلمين.

ففي "الصحيحين" لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرائِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**»، أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والضمير في: «**أَغْنِيَائِهِمْ و فُقَرائِهِمْ**»، يعود على المسلمين.

قال ابن المنذر رحمه الله: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أَنَّ الذمي لا

يُعطىٰ من زكاة الأموال شيئًا.اهـ

ونقله القرطبي في [تفسير سورة البقرة] عند هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

قال رحمه الله: والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركًا، وهذا من باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾.اهـ

وقد تقدم بيان الآية والردّ علىٰ تحريفهم (ص٦٢) لمدلولها بما يغني عن التكرار.

قولهم في (ص٤٧): ومن صور التسامح أن الله أباح للمسلمين طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم.

الــرد:

هذا الإطلاق غير صحيح.

وإنما أباح الله عز وجل من طعامهم ما ذبحوه علىٰ الطريقة الإسلامية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١]؛ ولقوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:١١٨]، وما ذبحه من يعتقد منهم تحريم الذبح لغير الله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

لَمَّا ذكر تعالىٰ ما حرمه علىٰ عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحله لهم من الطيبات، قال بعده ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ ﴾: ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارىٰ، فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ﴾ قال ابن عباس، وأبو أمامة، ومجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة، وعَطاء، والحسن، ومَكْحول، وإبراهيم النَّخَعِي، والسُّدِّي، ومُقاتل بن حيَّان: يعني ذبائحهم.

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون علىٰ ذبائحهم إلا اسم الله.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: "أحكام أهل الذمة" (١٨١): إن التسمية شرط في الحل، فلعمر الله، إنها لشرط بكتاب الله رسوله، وأهل الكتاب وغيرهم فيها سواء، فلا يؤكل متروك التسمية سواء ذبحه مسلم أو كتابي، لبضعة عشر دليلاً مذكورة في غير هذا الموضع. اهـ

وأما نكاح الكتابيات ففيه خلاف:

بوّب الإمام البخاري في [كتاب الطلاق] من "صحيحه": باب (١٨) قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ ﴾ [البقرة:٢٢١].

٥٢٨٥- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ نِكَاحِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ، قَالَ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ الْمُشْرِكَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلا أَعْلَمُ مِنَ الإِشْرَاكِ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ أَنْ تَقُولَ الْمَرْأَةُ: رَبُّهَا عِيسَىٰ. وَهُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ.اهـ

والآية المذكورة: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، عامة، وآية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، خاصة.

وليس إحداهما ناسخة للأخرىٰ علىٰ الصحيح؛ فنكاحهن جائز بشروط ذكرها أهل العلم أخذًا من الآية:

١) أن تكون المرأة كتابية ولا تكون حربية، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارىٰ.

٢) أن تكون محصنة غير مسافحة، ولا يعلم منها أَنَّ لها علاقات غير شرعية مع أحد الرجال، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾، أي: عفيفات، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾، أي: غير معلنات بالزنا، والمسافحة هي التي لا تمنع أحدًا أرادها بالفاحشة، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، أي: أصحاب.

٣) أن تكون محتشمة، وغير متبرجة في لباسها؛ لأن هذا من متطلبات الإحصان والعفة.

٤) أن لا يكون هناك مسلمات يمكن لذلك الشخص الزواج بهن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١]، والكتابية مشركة بلا خلاف، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

٥) أن تكون هناك ضرورة للزواج بها، وعدم تيسر المسلمة؛ كونه يَخشىٰ علىٰ نفسه الوقوع في فاحشة الزنىٰ.

٦) أن يكون لديه علم يدفع به الشبهات؛ حيث لا تحرفه إلىٰ عقيدتها الكفرية.

وهذه الشروط قد لا تتوفر عند الرجل، ولا عند الكتابية، فالبعد عن نكاحها من أجل سلامة دينه ودين أبنائه؛ لأن الكتابية لا تتورع عن المحرمات في المطاعم والمشارب، وتلك المطاعم والمشارب لها تأثير عليها وعلىٰ تغذية أولادها من لبنها؛ ولأنها قد تؤثر علىٰ أولادها فيصيرون إلىٰ دينها، وفي "الصحيح" أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**».

ومن مقاصد الزواج: حصول الولد، ورعايته واجبة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

ولأنها قرين سوء، وفي "الصحيحين" عن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**».

وقال النبي ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل**».

ولأنها لا تدين بغسل الجنابة، ولا بالتنزه من النجاسة الحسية، إضافة إلىٰ نجاستها المعنوية بالشرك بالله، قال تعالىٰ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ

نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨].

وعلى هذا فلا يؤمن على ولدها من متابعة دينها، ولا يؤمن على زوجها من الارتداد عن دين الإسلام الحق.

وهذا كله يؤيد ما بوب عليه البخاري، وقد عُلِم أَنَّ فقهه في أبوابه، وذكر عليه أثر ابن عمر في البعد عن الزواج بالكتابيات، ولو توفرت فيها الشروط، فكيف إذا لم تتوفر كلها أو بعضها!!

قولهم (ص٤٩): العدل في المعاملة دون تمييز بسبب الدين من أعظم صور التسامح، وهذا ما أمر به ربنا جلا وعلا في كتابه حيث قال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

وهذه الآية عامة في جميع أنواع العدل، وفي آية أخرى خصَّ اللهُ تعالى العدل وأمر به حتى مع المخالفين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨].

فالمؤمن يراقب ربه جل وعلا، ويتحرى العدل مع جميع البشر، وقد نهى الله تعالى أن يتخذ المؤمن كُفرِ الكافر ذريعة لظلمه وعدم العدل معه، ولأهمية العدل وإحقاق الحق أنزل الله تعالى آيات تتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

فمن العدل الوفاء بالعهد، ومن التسامح أن يشمل ذلك المسلم وغير المسلم؛ لعموم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].

ومن الظلم: عدم الوفاء بالعهد لأهله مهما اختلفت عقائدهم ومللهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة**».

الـرد:

ومجمل بيان تحريفهم لمدلول هذه الأدلة كما يلي:

أولا: أنهّم يستدلون بأدلة العدل على التسامح مع الكافرين، وهذا خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما نزلت به كتبه وبعثت به رسله كما قدمنا عند قولهم: (نشر فكر الاعتدال والوسطية)، معرضين عن قول اللهِ تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ❁ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❁ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:٤-٦].

وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وكل ما خالف كتاب الله وهدى رسله فليس من العدل، بل هو غاية الجور، والظلم، والفتنة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٣٩].

وتأمل تفسير هذه الآيات لقول الله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ

نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى:١٣-١٥].

اشتملت هذه الآيات على: أن الله شرع دينه لعباده، ووصىٰ بذلك أنبياءه ورسله، أن يقيموا دينه الحق وتوحيده، ونهىٰ عن الافتراق فيه، ونهانا أن نكون منهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

فالواجب علىٰ جميع المكلفين التابعين لشرع الله إقامة توحيده عز وجل، وهذا الذي شرعه الله لم يرض به المشركون من اليهود والنصارىٰ الذين قال الله عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ * هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠-٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:١٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۞ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۞ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۞ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٤-٦٧].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ينكر تعالىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوىٰ كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق ابن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: اجتمعت نصارىٰ نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا. وقالت النصارىٰ ما كان إبراهيم إلا نصرانيا. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ

لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾، أي: كيف تَدّعُون، أيها اليهود، أنه كان يهوديا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تَدّعُون أيها النصارى أنه كان نصرانيا؟! وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ .

ثم قال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .

هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به؛ فإنَّ اليهود والنصارى تَحَاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه عِلْمٌ مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ؛ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردِّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا ﴾، أي: مُتَحَنفًا عن الشرك قَصْدًا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، أي: شق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد، وضاقوا به ذرعًا، والتمسوا إبعاد غيرهم عنه ﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكل ما ذكروه من الأدلة هي رد على رسالتهم هذه المسماه "التسامح"،

وحجج عليهم.

ومن أوضح الحجج عليهم هذه الآية التي ذكروها (ص٥٠): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

الـــرد:

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمد.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: يعني: القرآن.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: لتقضي بين الناس، فتفصل بينهم.

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: يعني: بما أنزل الله إليك من كتابه.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾: تخاصم عنه، وتدفع عنه من طالبه بحقِّه الذي خانه فيه.اهـ

ويوضح معنى هذه الآية ما بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٠٦-١٠٩].

فهؤلاء الضُّلَّال جندوا أنفسهم مخاصمين، ومحامين، ومجادلين عن الكفار، ودعاة إلى مودتهم، ويستدلون بالآية على بوائقهم وهم لا يشعرون.

وآخر ما حرفوا مدلوله حديث بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عند أبي داود رقم (٣٠٥٢)، وابن زنجويه في "الأموال" رقم (٦٢١)، والبيهقي في "الكبرى" (٩/٢٠٥)، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسٍ، فأنا حجيجه يوم القيامة**».

قلتُ: والحديث فيه مجهولون، ولكنهم عددٌ كثير من أبناء الصحابة ينجبر بعضهم ببعضٍ، وله شواهد يصلح بها للاحتجاج، إلا لفظة: «**أو تنقصه**»؛ فإنها منكرةٌ كما قدمنا.

فالذمي المعاهد كافر، والكافر قد أهانه الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٨].

وقال تعالىٰ: وقال الله عز وجل: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠].

ومن المفيد نقل مقتطفات من كلام شيخ الإسلام هنا في أَنَّ إذلال الكافرين من مقاصد هذا الدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٨/٦٤١-٦٤٦): وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهل الحرب، ولا يخبروهم بشيء من أخبار المسلمين، ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولي أمر المسلمين ما فيه ضرر علىٰ المسلمين، ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين، وفي أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله، ومن قال: إن المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلىٰ ذلك. لم يكن عارفًا بحقيقة الحال؛ فإن المسلمين قد فتحوا ساحل الشام، وكان ذلك أعظم المصائب عليهم، وقد ألزموهم بلبس الغيار، وكان ذلك من أعظم المصائب عليهم، بل التتار في بلادهم خربوا جميع كنائسهم، وكان نوروز رحمه الله تعالى قد ألزمهم بلبس الغيار، وضرب الجزية والصغار؛ فكان ذلك من أعظم المصائب عليهم، ومع هذا لم يدخل علىٰ المسلمين بذلك إلا كل خير؛ فإن المسلمين مستغنون عنهم، وهم إلىٰ ما في بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلىٰ ما في بلادهم، بل مصلحة دينهم ودنياهم لا تقوم إلا بما في بلاد المسلمين، والمسلمون -ولله الحمد والمنة- أغنياء عنهم في دينهم ودنياهم، فأما نصارىٰ الأندلس فهم لا يتركون المسلمين في بلادهم لحاجتهم إليهم، وإنما يتركونهم خوفًا من التتار.

فإن المسلمين عند التتار أعز من النصارىٰ، وأكرم، ولو قدر أنهم قادرون علىٰ من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر علىٰ من عندهم من النصارىٰ، والنصارىٰ الذين في ذمة المسلمين فيهم من البتاركة وغيرهم من علماء

النصارىٰ ورهبانهم ممن يحتاج إليهم أولئك النصارىٰ، وليس عند النصارىٰ مسلم يحتاج إليه المسلمون ولله الحمد، مع أن فكاك الأسارىٰ من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات، وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون إلىٰ بلاد المسلمين إلا لأغراضهم، لا لنفع المسلمين، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم علىٰ المال يمنعهم من الطاعة؛ فإنهم أرغب الناس في المال؛ ولهذا يتقامرون في الكنائس، وهم طوائف مختلفون، وكل طائفة تضاد الأخرىٰ.

ولا يشير علىٰ ولي أمر المسلمين بما فيه إظهار شعائرهم في بلاد الإسلام أو تقوية أمرهم -بوجه من الوجوه- إلا رجل منافق يظهر الإسلام، وهو منهم في الباطن، أو رجل له غرض فاسد، مثل أن يكونوا برطلوه، ودخلوا عليه برغبة، أو رهبة، أو رجل جاهل في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية التي تنصر سلطان المسلمين علىٰ أعدائه وأعداء الدين، وإلا فمن كان عارفًا ناصحًا له أشار عليه بما يوجب نصره، وثباته، وتأييده، واجتماع قلوب المسلمين عليه، ومحبتهم له، ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين اللهِ، وإظهار كلمة اللهِ، وإذلال أعداء اللهِ تعالىٰ؛ وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين، وصلاح الدين، ثم العادل، كيف مكنهم الله، وأيدهم، وفتح لهم البلاد، وأذل لهم الأعداء، لما قاموا من ذلك بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والىٰ النصارىٰ كيف أذله الله تعالىٰ وكبته، وليس المسلمون محتاجين إليهم، وللهِ الحمد، فقد كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (إن بالشام كاتبًا نصرانيا لا يقوم خراج الشام إلا به) فكتب إليه : (لا تستعمله).

وثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ أن مشركًا لحقه ليقاتل معه، فقال له: «**إنيّ لا أستعين بمشرك**»، وكما أَنَّ استخدام الجند المجاهدين إنمّا يصلح إذا كانوا مسلمين مؤمنين، فكذلك الذين يعاونون الجند في أموالهم وأعمالهم إنما تصلح بهم أحوالهم إذا كانوا مسلمين مؤمنين، وفي المسلمين كفاية في جميع مصالحهم، وللهِ الحمد.

ودخل أبو موسىٰ الأشعري ﷺ علىٰ عمر بن الخطاب ﷺ فعرض عليه حساب العراق، فأعجبه ذلك وقال : ادع كاتبك يقرؤه عليَّ. فقال: إنه لا يدخل المسجد. قال: ولِمَ؟. قال: لأنه نصراني. فضربه عمر ﷺ بالدرة، فلو أصابته لأوجعته، ثم قال: لا تعزوهم بعد أن أذلهم الله، ولا تأمنوهم بعد أن خونهم الله، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم الله.

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية للهِ ولرسوله، ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء اللهِ ورسوله، وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة، وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب، والجند الذي لا يخذل؛ فإنهم هم الطائفة المنصورة إلىٰ يوم القيامة كما أخبر رسول الله ﷺ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

نَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ❁ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ❁ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ❁ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ❁ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ❁ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥١-٥٦].

وهذه الآيات العزيزة فيها عبرة لأولي الألباب؛ فإن الله تعالىٰ أنزلها بسبب أنه كان بالمدينة النبوية من أهل الذمة من كان له عز ومنعة علىٰ عهد النبي ﷺ، وكان أقوام من المسلمين عندهم ضعف يقين وإيمان، وفيهم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، مثل عبد الله بن أبي رأس المنافقين وأمثاله، وكانوا يخافون أن تكون للكفار دولة؛ فكانوا يوالونهم ويباطنونهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾، أي: نفاق وضعف إيمان ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾، أي: في معاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾، فقال الله تعالىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، أي: هؤلاء المنافقون الذين يوالون أهل الذمة ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ❁ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥٢].

فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارىٰ والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين، وبما يطلعون علىٰ ذلك من أسرارهم،

حتىٰ أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتار وسُبي، وغير ذلك؛ بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم، ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم:

كل العـداوات قـد تـرجىٰ مودتهـا إلا عـــداوة مـــن عاداك في الديـــن

انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتأمل قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تعزوهم بعد أن أذلهم الله، ولا تأمنوهم بعد أن خونهم الله، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم الله.

ولنذكر من إذلالهم عند الصحابة وغيرهم من أئمة الهدىٰ في شروط عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/٦٥١): فصل في شروط عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الّتي شرطها علىٰ أهل الذمة لما قدم الشام وشارطهم بمحضر من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعليه العمل عند أئمة المسلمين؛ لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقتدوا باللَّذين من بعدي: أبي بكر، وعمر**»؛ لأن هذا صار إجماعًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين لا يجتمعون علىٰ ضلالة علىٰ ما نقلوه وفهموه من كتاب اللهِ وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الشروط مروية من وجوه مختصرة ومبسوطة، منها: ما رواه سفيان الثوري عن مسروق بن عبد الرحمن بن عتبة قال: كتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين صالح

نصارىٰ الشام كتابًا وشرط عليهم فيه:

أن لا يحدثوا في مدنهم؛ ولا ما حولها ديرًا؛ ولا صومعة؛ ولا كنيسة؛ ولا قلاية لراهب؛ ولا يجددوا ما خرب؛ ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم؛ ولا يأووا جاسوسًا؛ ولا يكتموا غش المسلمين؛ ولا يعلموا أولادهم القرآن؛ ولا يظهروا شركًا؛ ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس؛ ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم: من قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتكنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجًا، ولا يتقلدوا سيفًا، ولا يتخذوا شيئًا من سلاحهم، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزوا مقادم رءوسهم، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير علىٰ أوساطهم، ولا يظهروا صليبًا، ولا شيئا من كتبهم في شيء من طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربًا خفيًّا، ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء في حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين.

فإن خالفوا شيئًا مما اشترط عليهم؛ فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. اهـ

وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من آذىٰ ذميًّا فقد آذاني**» فهذا كذب علىٰ رسول الله ﷺ؛ لم يروه أحد من أهل العلم، وكيف ذلك؟! وأذاهم قد يكون بحق، وقد يكون بغير حق، بل قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨].

فكيف يحرم أذىٰ الكفار مطلقًا؟! وأي ذنب أعظم من الكفر؟!

ولكن في "سنن أبي داود" عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب أبشارهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم**»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أذلوهم ولا تظلموهم.

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة**».

وفي "سنن أبي داود" عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس علىٰ مسلم جزية، ولا تصلح قبلتان بأرض**».

قال: وهذه الشروط قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة وغيرها في كتبهم واعتمدوها، فقد ذكروا أَنَّ علىٰ الإمام أن يلزم أهل الذمة بالتميز عن المسلمين في لباسهم، وشعورهم، وكناهم، وركوبهم: بأن يلبسوا أثوابًا تخالف ثياب المسلمين: كالعسلي، والأزرق، والأصفر، والأدكن، ويشدوا الخرق في قلانسهم وعمائمهم، والزنانير فوق ثيابهم.

وقد أطلق طائفة من العلماء أنهم يؤخذون باللبس، وشد الزنانير جميعًا، ومنهم من قال: هذا يجب إذا شرط عليهم.

وقد تقدم اشتراط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك عليهم جميعًا حيث قال: ولا

يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا غيرها: من عمامة، ولا نعلين... ، إلى أن قال: ويلزمهم بذلك حيث ما كانوا، ويشدوا الزنانير على أوساطهم.

وهذه الشروط ما زال يجددها عليهم من وفقه الله تعالى من ولاة أمور المسلمين، كما جدد عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خلافته، وبالغ في اتباع سنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان من العلم، والعدل، والقيام بالكتاب والسنة بمنزلةٍ ميزه الله تعالى بها على غيره من الأئمة، وجددها هارون الرشيد، وجعفر المتوكل وغيرهما، وأمروا بهدم الكنائس التي ينبغي هدمها، كالكنائس التي بالديار المصرية كلها، ففي وجوب هدمها قولان، ولا نزاع في جواز هدم ما كان بأرض العنوة إذا فتحت، ولو أقرت بأيديهم؛ لكونهم أهل الوطن، كما أقرهم المسلمون على كنائس بالشام، ومصر، ثم ظهرت شعائر المسلمين فيما بعد بتلك البقاع، بحيث بنيت فيها المساجد، فلا يجتمع شعائر الكفر مع شعائر الإسلام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يجتمع قبلتان بأرض**»؛ ولهذا شرط عليهم عمر والمسلمون رضي الله عنهم أن لا يظهروا شعائر دينهم.اهـ

بَعْضُ أَهْدَافِ الْغَرْبِ وَأَذْنَابِهِم مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّسَامُحِ

ومن خلال ما تقدم في هذه الرسالة المسماة بـ"التسامح" وغيرها مما في بابها من المنشورات يتلخص أَنَّ من أهداف الدعوة إلى التسامح مع الكفار مؤامرة على الإسلام، وأهله، أهمها:

أولاً: محاولة تشويه جمال الإسلام وخدش محاسنه؛ حيث إنه عندهم غير شامل، كامل، ملزم كل مكلف، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فلسان حالهم ومقالهم هو ما قاله أحدهم: إِنّ الإسلام فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي -أي: الأول الهجري-، لكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني.انتهى، نقله صاحب كتاب "تسامح الغرب مع المسلمين" (ص١٤٦) نقلاً عن كتاب "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" (١/١٥٩).

ثانيًا: إلغاء الولاء والبراء بما يُعَرِّضُ المسلمين إلىٰ محبة الكافرين؛ فيقعون في الخطر المبين، كما قدمنا أدلة ذلك.

ثالثًا: تفريق المسلمين وإغراء العداوة والبغضاء بينهم، والله عزوجل يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ودعوة التسامح مع الكفار تعارض هذه الأصول؛ فتسبب غاية الفرقة.

رابعًا: الترغيب في التنصير والتهويد، والدعوة إلىٰ الردة عن دين الإسلام، وتقريب المسلمين إليهم، ومخالطتهم، وتزين الكفار في أعينهم.

خامسًا: تمكين لدول اليهود والنصارىٰ بنشر أفكارهم واستفادتهم من قدرات الأمة ماديًّا، ومعنويًّا؛ حتىٰ يصير المسلمون عالة عليهم.

سادسًا: إلغاء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث يسود علىٰ الناس فكر التسامح بلا نكير علىٰ أي منكرٍ، كما تقدم بيانه في هذه الرسالة "التسامح" التي أساس هذا الرد، ومن باب أولىٰ.

سابعًا: إلغاء شعيرة الجهاد في سبيل اللهِ، أو تحديث النفس بذلك.

ثامنًا: بث فكرة الحضارة، وإشغال الناس بها عن دينهم.

تاسعًا: بث فكر وأساليب التشبه بالكافرين في كل شيء، والمعلوم النهي عنه شرعًا.

عاشراً: بث تضخيم الكفار في أعين المسلمين؛ حتىٰ يقذف الوهن في قلوب المسلمين، وتسيطر عليهم المهابة من الكفار الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:١٥١].

الحادي عشر: التسامح المذكور يؤدي إلىٰ الفكر العلماني الملحد، ففي "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (٢/٦٨٢) ذكر أَنَّ من أفكار العلمانية فصل الدين عن السياسة، وإقامة الحياة علىٰ أساس مادي، والطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة، بزعم أَنَّ الإسلام استنفذ أغراضه.

وفي آخر هذه الرسالة:

ألفت انتباه الناظرين إلىٰ أَنَّ هذه الطريقة التي سار عليها هؤلاء الكتّاب الداعين إلىٰ التسامح مع الكافرين لم يأتوا فيها بِبِدَعٍ من القول؛ فهي طريقةٌ قديمة ذمها الله عز وجل، وذم أهلها أشد الذم، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر:١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾

[المائدة:٥٢-٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥-٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

انتهىٰ ما أردنا بيانه من خطورة هذه الدعوة الموبقة إلىٰ التسامح مع الكافرين ردًّا علىٰ الكتاب المذكور وأمثاله مما في بابه.

وسبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفَهْرِس